شهرية تصدر عن الجمعية الوطنية الحجازية العدد (١١) ٢٠٠٣/٩/١٥

الحجاز

هذا الحجاز تأمّلوا صفحاته سِفرُ الوجودِ ومعهدُ الآثارِ



على ضوء زيارة ولي العهد الى موسكو

قبلة الموت الروسية وإرث الحجاز المحتلّ



السعودية والإنتقال الخاطف

من الجزيرة الآمنة الى صواريخ سكود!

في هذا العدد

دولة القلق

كل شيء فيها بات يثير القلق، ولا مؤشر على إقتراب وشيك أو منظور أو حتى بعيد من الفكاك منه، فالمستقبل يخبيء لقاطني هذه الدولة الشيء الكثير من القلق. التعليم بكافة مراحله، والصحة بمجمل خدماتها، والتوظيف في كل مستوياته، والأمن بكل أبعاده، أصبحت عناوين قلق يومي للسكان، فطاحونة القلق تزج بالعوائل في متاهات لا تدرك كيفية الخلاص منها. فالأبناء يبلغون العمر التأهيلي للانتظام في صفوف الدرس، ولكن لا مدارس كافية تضمهم فضلاً عن كون المتوفر منها غير مصمم وفق مقاييس المدرسة النموذجية، وإذا ما أنهوا المرحلة الثانوية فإن عذاباً عسيراً ينتظر أبناءهم، لا فرق في ذلك بين من حصل على درجات متدنية أو حاز الدرجة الكاملة، فكلهم سواء في العذاب والقلق، فعلى أعتاب جامعاتنا تتحطم طموحات من سهروا الليالي وكافحوا من أجل بلوغ أحلامهم الكبيرة، فمن كان يحدّث نفسه بأن يكون طبيب المستقبل ساقه القدر الى أي من الكليات التي لم تقفل أبواب القبول فيها بعد. ولن يضع القلق أوزاره لدى العوائل حتى حصول فلذات أكبادهم على مقعد جامعي، وإن كان في تخصصات لا تتفق مطلقاً مع طموحات وميول الطلبة.

وهل يقف الأمر عند هذا الحد؟

مرحلة قلق جديدة تندلع بعد التخرج، بحثاً عن وظيفة، فالأعداد الغفيرة من المتخرجين سنوياً يتدافعون بطلبات التوظيف على مكاتب العمل الحكومي وشركات القطاع الخاص، ويمضي كثير منهم شهوراً وأحياناً سنوات دون جدوى، فيما يضطر بعض من أوصد القلق أبواب الأمل في وجوهمم لقبول وظيفة حارس معمل، أو سائق باص عمومي، أو محاسب في متجر صغير، أو نادل في مطعم، أما البقية فتضاف الى مجتمع البطالة التي بلغت معدلات مخيفة.

في المجال الصحي، ثمة قصة قلق أخرى، فقد أخذتها الدولة من قصيرها، كما يقولون، وأقرّت ضمنياً بأنها عاجزة عن الايفاء بالحد الأدنى من متطلبات الخدمة الصحية للسكان، وفرضت سياسة التأمين الصحي على الشركات والمؤسسات الخاصة، وستعمم هذه السياسة في وقت لاحق لتشمل كافة السكان. فالنقص الحاد في الأدوية، والمستشفيات، والمراكز الصحية الحكومية يتم تغطيتها من خلال تفويض المستشفيات الخاصة بكل عوراتها وعيوبها من إرتفاع أسعار العلاج فيها بصورة حادة، الى التنافس التجاري غير الشريف فيما بينها. والمصيبة، أن اوضاعاً إقتصادية متردّية تعيشها العوائل تجعل منها عاجزة عن تغطية نفقات العلاج في المستشفيات الخاصة.

وجاء قلق الأمن ليزيد الطين بلة، فقد أصبحت حياة المواطن وأمنه في خطر، وحتى الآن لم تفلح الدولة في القيام بسمؤوليتها في توفير غطاء أمني لمن تسود، يخبر عن ذلك انتشار السلاح وتهريبه وحوادث الاغتيال والقتل والجريمة بأشكال مختلفة، حتى باتت النساء في بعض المدن، كالطائف وجدة وفي الشمال يحملن السلاح دفاعاً عن أنفسهن، فضلاً عن المصادر الأخرى لتهديد الأمن، وأبرزها التفجيرات والمواجهات المسلحة التي يسقط فيها أبرياء، ونساء وأطفال، وتخرّب فيها البيوت والمنشآت الحيوية، الى درجة أن الناس باتوا لا يأمنوا الخروج من بيوتهم أو التنزّه في الحدائق العامة، أو حتى التسوّق في المراكز التجارية لشعورهم بأن حياتهم مهددة، من قبل مجموعات إرهابية منبثة في داخل هذه البلاد، وفشلت الدولة حتى الآن في القبض عليها أو التعامل الصحيح معها.

مصادر القلق تنوّعت وتشعبت، وبدلاً من أن ينظر الناس الى الدولة كمصدر حماية لهم، ومصدر رفاه لهم ولأبنائهم وضامن لمستقبل أجيالهم اللاحقة، تحوّلت هي الأخرى الى مصدر قلق، فعجزها لم يتوقف عند حد فقدان شروط القيمومة، والتنصل من وظائفها كدولة ملزمة بتنظيم المصالح العامة، وردع العدوان، وتوفير ظروف العيش الكريم بل تحوّلت هي الأخرى الى عبء كبير، ينظر اليه السكان بوصفه مصدر شقائهم.

ولا ندري كيف تحتفظ الدولة بصفتها، اذا فشلت في ضمان الحد الأدنى من ضروريات الحياة، فلا هي قادرة على توفير مقعد دراسي، ولا سرير طبي، ولا أمن إجتماعي، وهي وظائف مندكة في صميم وظيفية الدولة وقيمومتها. فالدولة إنما تكون دولة أي مالكة لزمام هيمنتها على من تسود بقدرتها إبتداءً وقبل أي شيء آخر على سداد حاجات الرعية من تعليم وصحة وخدمات، هذا قبل الحديث عن حاجات وحقوق معنوية وسياسية وفكرية، وهو حديث لا يقل مركزية وخطورة عن غيره. فالإصلاح السياسي صار جزءا أصيلاً من القلق العام، ويتنامى كلما أحجمت الدولة عن الدخول اليه من بوابته الصحيحة، أي من بوابة الاصلاح الشامل والجوهري في بنية الدولة وجهازها الاداري نزولا الى الاصلاح الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، كسلسلة متصلة في مشروع الاصلاح الشامل.

السعوديون محاصرون بالقلق ومساحة وجود الدولة تنكمش يوماً بعد آخر عن أرض الواقع

القلق أصبح ظاهرة عامة، حتى صار بديلاً عن الرغيف اليومي للسكان، وتبديد هذا القلق يتوقف الآن على جدّية الدولة في وضع العربة على الطريق السريع للإصلاح الشامل، والا فإن المستقبل ينذر بقلق كارثي، لا يبقي للدولة مبرر البقاء والاستقرار. فالناس حين يدركون بأن الدولة عاجزة عن حماية رغيفهم، ومصيرهم، وأمنهم يصطنعون لأنفسهم نظاماً بديلاً لتحقيق كل ذلك، وحينئذ تصبح كالخلافة العباسية في خريفها، حيث صارت مزقاً تتحكم فيها الامارات الصغيرة التي تكاثرت كالفطر في أرجاء دولة الخلافة وصارت تملي على الخلافة السياسة التي تريد.

دور السلطة والمجتمع في التدافع نحو الاصلاح السياسي

حالة الجمود أو بالأحرى الترقب الحذر لدى صنّاع القرار في المملكة بانتظار ما تكشف عنه الايام وربما الشهور القادمة سيما في ظل الحالة السائلة التي تعيشها المنطقة برمتها منذ احتلال العراق، تمثل إحدى تعبيرات القلق الذي ينتاب القيادة السياسية السعودية، فالتصاعد المستمر للأصوات الراشدة في هذا البلد والمطالبة بوضع الاجندة الاصلاحية كما صاغتها عريضة (رؤية لحاضر الوطن ومستقبله) والتي حظيت بتأييد ولي العهد الأمير عبد الله بوضعها حيز التنفيذ يؤكد أن الاصلاح السياسي بات خيار الضرورة والحاجة، يجمع على ذلك القطاع الواسع من السكان والدوائر العليا في الدولة.

فهناك عدد كبير من الامراء والمسؤولين الكبار في الدولة يخبرون بصورة مكررة بأن قرار الاصلاح قد صدر بانتظار الظرف المناسب، وفي الغالب يقصد به الظرف الهادىء، ولكن ثمة ما يؤخر دخول هذه القرارات حيز التنفيذ. فما هي الأسباب التي تحول دون البدء بتطبيق الاجندة الاصلاحية سواء بحسب رؤية العائلة المالكة أم برؤية التيار الوطني الاصلاحي العام؟

مخاوف العائلة المالكة

هناك ما يبرر خوف العائلة المالكة من الاصلاح السياسي، فثمة أخطار حقيقية محدقة بوحدة الدولة، فمازال خطر التقسيم قائماً، ومازالت دوامة العنف تهز بعنف أسس استقرار الدولة، وأن الدولة في الوقت الراهن تمر بحالة وهن عام، وبالتالي فإن تبني الاصلاح بصورة عملية سيفضي الى مزيد من الضعف في بنية السلطة، أو هكذا الشعور الذي ينتاب العائلة المالكة، خصوصاً وأنها تدرك تماماً خارطة إخفاقاتها وماهي المجالات التي تحتاج الى إصلاح جذري، وتدرك ايضاً حجم الأعباء التي ستقع على عاتق الدولة حال البدء بتنفيذ خطط اصلاحية جوهرية وشاملة.

فالعائلة المالكة باتت على يقين بأن المجتمع لا ترضيه إصلاحات هامشية تطال أطراف القضايا دون المساس بجوهر المشاكل الحقيقية ذات العلاقة بحياة السكان، ولأن الدولة تعجز الآن عن تلبية الحد الأدنى مما كانت تقدر عليه قبل عقد من الزمن، ولذلك فإنها تخشى أن جرعات الاصلاح التي ستقدمها غير كافية لتخفيف الأزمة بل قد تفتح عليها باباً جديداً من النقد والمساءلة العامة، أو قد تشجّع هذه الجرعات السكان للمطالبة بالمزيد وإستثمار ما هو موجود لتحقيق ما هو أكبر. بكلمات أخرى، فإن ما ستقدّمه العائلة المالكة للسكان لن يكون مقبولاً ومرضياً في كل الأحوال، لأنها لا تملك الآن حلولاً جذرية لقضايا تراكمت لعقود حتى فاقت قدرتها على الحل والعلاج، فهي ملامة في كل حال.

> **إقتفاء التيار الاصلاحي وسيلة العرائض وحدها كآلية ضغط على السلطة يجعله رهيناً لإرادتها**

هناك عامل آخر يكبح نوايا العائلة المالكة للإسراع بتنفيذ برنامج اصلاحي شامل، وهو الظروف الداخلية، الأمنية منها بدرجة أساسية، فلأول مرة تشعر العائلة المالكة بالعجز حيال ظاهرة عنف غير مسبوقة، وكانت حتى وقت قريب من انفجارات الرياض المتزامنة في الثاني عشر من مايو الماضي تنظر الى حوادث العنف في مناطق مختلفة من المملكة بوصفها حوادث منفصلة وليس فيها ما يشير الى تقنية عسكرية متقدمة أو الى شبكات تنظيمية معقّدة، فضلاً عن القدرة التدميرية الهائلة التي ظهرت في تفجيرات الرياض، فهي ـ أي حوادث العنف السابقة ـ تجري أمثالها في مناطق عديدة من المملكة ويتم القبض على الضالعين فيها بسهولة، ولكن العائلة المالكة لحظت هذه المرة بأنها تتعامل مع جماعات منظّمة لديها من الخبرة القتالية وحرب الشوارع والمتفجرات ما أصاب قوات الأمن الداخلي بالدهشة والفشل، بل في بعض الأحيان استطاعت هذه الجماعات تحييد القدرة الأمنية للدولة وتمكنت من تحقيق أهدافها رغم ما يتعرض له بعض خلاياها من تمزّق.

هذا التطور الأمني الخطير خلق حالة ذعر شديدة وسط النخبة الحاكمة، ووضع هذا التطور في سياق تحديات أخرى لا تقل خطورة مثل مخطط تقسيم المملكة الذي ظل يتفاعل لفترة طويلة نسبياً داخل دوائر قريبة من الإدارة الأميركية، وهو امر أثار قلقاً جدياً داخل الحكومة، ومازال تحدي التقسيم قائماً وتالياً القلق الناجم عنه.

في ظل ظروف سياسية وأمنية مقلقة تجد العائلة المالكة نفسها أكثر ميلاً لتأجيل الحديث عن إصلاح سياسي الى أمد غير معلن، لأن الاصلاح قد يخلق معه شروطاً إضافية تتلاءم وتزخم التحديات الاخرى ولا سيما تحدي الأمن الوطني وتحدي وحدة الدولة بصورة عامة.

خيار العائلة المالكة كما هو واضح الآن ينحصر في سياسة خلق الهياكل بمضامين فارغة، فكثير من المؤسسات التي ظهرت خلال السنوات القيلة الماضية وخصوصاً المجالس المتصلة بالتعليم والاقتصاد وغيرها وانتهاءً بمركز الحوار الوطني تفتقر الى مضامين حقيقية، فقد بقيت هياكل بلا روح ولا دور ولا صلاحية، بل سقطت احياناً تحت رحمة البيروقراطية والطبقة المنتفعة، التي تجد في هذه الهياكل مشاريع استثمارية تموّلها خزينة الدولة.

اللجوء الى سياسة الهياكل هي أشبه ما يكون بالسمكة البلاستيكية المستعملة في صنارة صيد الاسماك، فهي تغري بلونها وشكلها المميز ولكنها تفتقر الى روح حيّة.

وقد نجحت الدولة حتى الآن في إشغال تيار عريض في البلد عن طريق الدعوة للقاء الفكري واعلان مركز للحوار الوطني، حتى ظل هذا التيار منغمساً في التنظير له وتحليل مضامينه وسبر آفاقه المستقبلية والوظائف المعلنة وغير المعلنة التي يمكن لمركز كهذا القيام بها، حتى أصبح المركز الوطني بديلاً عن الاصلاح السياسي نفسه.

وطالما حقق الاعلان عن مركز الحوار الوطني هذا الاقبال الواسع، فلماذا لا يكون هناك مراكز ولقاءات فكرية واسعة ومتعددة تشغل الناس حيناً من الزمن عن الدولة، ريثما تعثر الاخيرة على حلول أخرى لمشكلات لا يبدو أنها جاهزة لتحمل تبعاتها.

ولكن يبقى، كما يرى فريق المتفائلين، أن مركز الحوار الوطني واللقاء الفكري يمثلان خطوة صحيحة في إتجاه هو الآخر صحيح، وإن مزيداً من المراكز واللقاءات سينقل المجتمع والدولة الى مناخ حواري جديد سيملي على الدولة في نهاية المطاف الاستجابة لشروط التحوّل ومطلب التغيير. فالدولة لم تعد تحتفظ بكثير من الحلفاء المحليين الذين هم على استعداد لتولي مهمة الدعاية وتبرير سياسات العائلة المالكة، فالساخطون على الاوضاع كثر، وأن عصا الدولة كما جزرتها ليست طويلة بما يكفي للنيل منهم، فقد تمدد السخط الى طبقة التجار، والمثقفين، ورجال الاعلام، والدكاترة، نزولاً الى الطبقات الدنيا من السكان، ولم يعد نقد الحكومة ومعارضتها شيئاً ناشزاً أو حدثاً طارئاً، فالتيار الاحتجاجي يتمدد أفقياً وعمودياً ويخترق حتى الغرف القريبة من مصادر القرار، وبالتالي فإن نشوء قنوات تعبير على مستوى وطني سيسهّل مهمة التيار الاصلاحي العام في البلد، وستتحول هذه المراكز بمرور الوقت الى مكثّف صوتي يوصل مطالب الناس الى أسماع العائلة المالكة. صحيح ان تطلعاً يحدو بالعائلة المالكة في أن يتحول مركز الحوار الوطني الى درع يحمي مركز السلطة من سهام المتدافعين عليه، ولكن هذا التطلع يتضاءل تدريجياً لأن الصوت الاحتجاجي يتعالى بوتائر سريعة وسيغطي على الاصوات المتملقة التي يدفعها بؤسها الى الاستئكال بلسان حذق أضر العائلة المالكة ولم ينقذها من السير نحو الخيار الاصلاحي وتبنيه عاجلاً أم آجلاً.

المجتمع والدور المنتظر

ثمة قرارات سياسية مؤجلة تنتظر دفعاً مجتمعياً كيما تدخل حيز التنفيذ، فثمة مقولة شائعة على الالسن هذه الايام بأن (هذه العائلة لا يطلع منها خير) إشارة الى أن ليس هناك أمل في أن تنبري العائلة المالكة لمهمة الاصلاح السياسي في البلد، وهذه المقولة تبطن استسلاماً ويأساً، ولكن لا تخلي مسئولية دعاة الاصلاح والنخبة المثقفة والقوى السياسية والاجتماعية في هذا البلد. فالتغييرات التي شهدتها مؤسسات الدولة كانت تتم دائماً بدفع من الناس، واذا كانت العائلة المالكة ضد التغيير والاصلاح فهل يعني ذلك إنتظار القادم من رحم الغيب؟ فليس هناك تغيير بلا ثمن، وليس هناك تغيير بدون قوى تغيير حاضرة وفاعلة في الميدان السياسي.

نضج الوضع الداخلي وبلوغه درجة تأهيلية لولوج مرحلة التغيير لا يكفي وحده من أجل الانتقال السلمي الى الديمقراطية، فهناك عنصر الفعل شبه الغائب حالياً من المجتمع، كما أن البعثرة والاضطراب في نشاطات الاصلاحيين وأحياناً البلادة التي تصيبهم والتي تحول دون تبلوّر حركة إصلاحية وطنية تفقد تأثيرها السياسي في الضغط على السلطة لجهة الاسراع بتطبيق أجندة اصلاحية شاملة وجذرية.

فالفورانات المتقطعة والانطفاءات

إرادة المجتمع الغائبة أو غير الفاعلة ستصبح مضاهية لارادة السلطة اذا تبلورت في تيار إصلاحي وطني

السريعة في النشاط الاصلاحي يمنح السلطة إطمئناناً الى أن هذه الفورانات لا تعدو أكثر من (سحابة صيف وتعدي) حسب التعبير المصري، سيما وأنها تجمّعت على مدارة فترة زمنية طويلة ولكنها كانت سريعة التبدد والتلاشي، وهذا ما يجعل النشاط الاصلاحي فقيراً الى عنصر الضغط. هذا ما حصل مع كل العرائض الاصلاحية التي رفعت الى الجهات العليا في الدولة، فغاية الأمر أن لقاءً يعقد مع ولي العهد أو غيره من الأمراء الكبار مع أصحاب العرائض، يتخللها تطمين وتأكيد على الرغبة السامية بأن الاصلاح هو منهج وعقيدة الدولة وأن ثمة تطابقاً في وجهات النظر حول محتويات هذه العرائض بين السلطة والمجتمع، وأن هناك قرارات صادرة تنتظر الظرف المناسب كيما تدخل حيز التنفيذ. ولكن..وبعد إنفضاض المجلس، يعود أصحاب العرائض الى بيوتهم محمّلين بقائمة وعود ولا يمر زمن طويل عليها حتى تتحول الى أوهام، وحتى مع فرضية المتابعة بين أصحاب العرائض والسلطة فإن الشعار المشهور في وجه هؤلاء هو أن قرار الاصلاح قد صدر وينتظر الظرف المناسب. هذه مجمل الطريقة المعمول بها حالياً، ولا يبدو أن هناك عنصراً آخر سينضاف اليها، فعريضة وموعد ولقاء ووعد ووهم وإنتظار جديد والحبل على الجرار.

هذا الاسلوب المفروض من الدولة على السكان في ايصال مطالبهم لم يثمر حتى الآن عن نتائج حقيقية منظورة، وأن الاصرار على الالتزام به كوسيلة وحيدة للضغط على السلطة سيجعل التيار الاصلاحي العام رهيناً لإرادة السلطة وحدها التي لا يبدو أنها على إستعداد لتعديل سلوكها ونظرتها الى مطالب السكان، فهناك إرادة غائبة أو غير فاعلة، وهي إرادة المجتمع ممثلاً في قواه السياسية والاجتماعية ودعاة الاصلاح المنتشرين في أرجاء المملكة. فهذه الارادة ستصبح مضاهية لارادة السلطة فيما إذا تبلورت وتجمّعت في تيار اصلاحي وطني يمثل الطيف السياسي والاجتماعي العام في البلد.

ينتظر من هذا التيار بكل رموزه وفئاته أن يستأنف نشاطه الاصلاحي، وأن يبتكر وسائل جديدة، وليست بالضرورة غير سلمية، للدفع باتجاه تبلوّر تكتل إصلاحي وطني عريض يضطلع بمهمة تحرير السلطة من عقدة الخوف من الاصلاح، والضغط عليها باتجاه وضع برنامج إنقاذ وطني شامل يتضمن طمأنة السلطة ازاء ما تعتبره مخاوف من التقسيم وتفكك السلطة وتبدد الملك، ولكن في ذات الوقت إلزامها بوضع أجندة إصلاحية دقيقة تعالج مشكلات الدولة الحقيقية، الاقتصادية والسياسية والامنية والثقافية والتعليمية، أي بكلمة إصلاح شامل للدولة.

لاشك أن وجود نوايا لدى العائلة المالكة، سواء صدقت هذه النوايا أم لا، ووجود إحساس عام لدى المواطنين بضرورة الاصلاح يعد تطوّراً إيجابياً وهذا يتطلب إستثمار صحيحاً وعاجلاً في عملية التدافع نحو تحويل النوايا الى أفعال، وهذا لن يتم ما لم ينبري دعاة الاصلاح وبخاصة الموقعين على وثيقة الرؤية لكي يعيدوا ما بدأوه أول مرة.

زيارة الأمير عبد الله الى روسيا

التطلعات الحذرة لدى موسكو والرياض

منذ سبعين عاماً لم تطأ موسكو قدم مسؤول سعودي منذ زيارة الملك فيصل عام ١٩٣٦، وربما كانت ستطول مدة القطيعة بين البلدين لو لم تشهد المنظومة الاشتراكية تحولا دراماتيكياً خطيراً عام ١٩٨٩، كما لو لم تشهد المنطقة تحولات جد خطيرة على مستويات عدة سياسية واقتصادية وأمنية خلال العامين الماضيين. فالزيارة التي وصفت بالتاريخية لولي العهد السعودي الأمير عبد الله الى روسيا الاتحادية شكّلت مفتتحاً جديداً في علاقات البلدين، ومن المفارقات المدهشة أن تكون هذه الزيارة مفتاحاً سحرياً في العلاقات العربية والاسلامية بروسيا عبر البوابة السعودية التي كانت فيما مضى تمثل أعتى قوة أقليمية كابحة للنفوذ السوفييتي في المنطقة.

هي زيارة عوّلت عليها القيادة السعودية وقيادات عربية عديدة كثيراً، من أجل فك الانحباس السياسي في المنطقة وربما في مناطق أخرى من العالم، وفي استقرار أسواق النفط العالمية التي من المرشح أن تشهد اضطراباً حاداً بفعل سيطرة الولايات المتحدة على قوسي النفط والغاز الممتد من الخليج الى أفغانستان. فالسعودية تجد في روسيا اليوم قواسم مشتركة معها في التحديات والمصالح المتبادلة، وثمة هموم أيضاً مشتركة ساهمت في تقريب المسافة وعلى نحو سريع بين البلدين، وأصبح الطرفان يرى كل منهما في الآخر عامل استقرار في بلده، على المستوى السياسي والاقتصادي والأمني المحلي والاقليمي، ولذلك كان ملف المشاورات السعودية الروسية مليئاً بالموضوعات ذات الاهتمام المشترك، يختلط فيه البعد السياسي بالابعاد الأخرى الاقتصادية والثقافية والدينية تشارك فيها هيئات متخصصة من البلدين في مناشط مختلفة.

زيارة الأمير عبد الله الى روسيا الشهر الماضي مرّت عبر عواصم عربية محددة عقدت فيها مشاورات جادة مع القيادات السياسية وبصورة رئيسية في كل من مصر و سوريا من أجل الاتفاق على محاور النقاش مع القيادة الروسية. ولعل أهم المحاور عربياً كان موضوع الصراع العربي الاسرائيلي وعملية السلام المتعثرة في الشرق الأوسط، والدور الأميركي الجديد في المنطقة بعد احتلال العراق، وبخاصة منذ ان تشكلت جبهة لم تصل الى مستوى الحلف الدولي بين روسيا وألمانيا وفرنسا في مقابل التحالف الأميركي البريطاني الذي تعزز منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر، ومن ثم التسويات المنفردة التي قامت بها كل من الولايات المتحدة وبريطانيا منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر وهي تسويات ساهمت في تكسير الارادة الدولية وإعطاب شرعية هيئة الامم المتحدة. أما سعودياً فثمة قضايا مركزية تشغل تفكير القيادة السعودية وترى في الدور الروسي أحد محفزات الانفراج لهذه القضايا.

التطلع السعودي

اختلال التوازن السياسي في المنطقة لصالح الولايات المتحدة يدفع السعودية وأطراف عربية عديدة لتنشيط دور قوى دولية أخرى يمكن لها أن تلعب جزئياً على الأقل في تحقيق الاستقرار وكبح الجموح الاميركي الكاسح، من خلال تفعيل العلاقات الفاترة مع هذه القوى لجهة الافادة منها في تأمين الاستقرار في المنطقة، والاستعانة بهذه القوى في درء مخاطر مستقبلية يحملها الوجود الأميركي في المنطقة.

السعودية تدرك تماماً بأن التطلع الروسي في العلاقات مع السعودية يتجه ليشمل كافة المجالات السياسية والتجارية والعسكرية والثقافية، وهو تطلع قد لا تستجيب له السعودية في الوقت الحاضر، فتركيز القيادة السعودية مصوّب نحو مسألتين أساستين: الامن والاقتصاد. فالسعودية التي تواجه تهديدات أميركية جدّية وتطلعات مؤسسة على أجندة إسرائيلية تتطلع لأن يلعب الروس دوراً أكبر في مشاكل الشرق الأوسط بدءا من الصراع العربي الاسرائيلي والذي تصرّ الادارة الأميركية على حسمه بحسب الرغبة الاسرائيلية، ومروراً بالنظام السياسي الاقليمي الذي بدا مقلقاً للرياض منذ احتلال العراق، وتزايد الحديث عن أجندات أميركية لإعادة صياغة الشرق الأوسط، تكون فيها اسرائيل المحوّر القوي في نظام شرق أوسطي جديد، وأخيراً بالنظام السياسي السعودي الذي بات الحديث عنه في دوائر سياسية واستراتيجية أميركية منذراً للعائلة المالكة، على أساس أن هذا النظام سيتعرض لتغييرات بنيوية ولكن بقوة خارجية وهذه مسألة طرحت بكثافة عالية في السنة الأخيرة.

في موضوع الصراع العربي الاسرائيلي تعتقد القيادة السعودية بأن المبادرة التي أطلقها ولي العهد الأمير عبد الله في قمة بيروت واجهت رفضاً أميركياً ضمنياً، كما أن هذه المبادرة لم تحظ بنصيب وافر من التأييد الدولي، فهي مبادرة جاءت في مناخ شديد العداء ضد السعودية، الى حد وصفها بانها إحدى محاولات الخروج من المأزق الذي وضعت أحداث الحادي عشر من سبتمبر السعودية فيه، سيما وأن المبادرة جاءت في سياق جهود رامية لقطع الطريق على محاولات اميركية

اسرائيلية لتمرير مشاريع حل مضرّة ليس بالقضية الفلسطينية بل بالمنطقة العربية برمتها، والتي عبّر عنها مشروع خارطة الطريق الذي أعلن وفاته الرئيس الفلسطيني مؤخراً وتأكدت باستقالة رئيس الوزراء الفلسطيني محمود عباس أبو مازن، فهذه الخارطة لا تقف عند حد معالجة القضية الفلسطينية بحسب التصورات الأميركية والاسرائيلية بل تستهدف إحداث تغييرات هائلة في خارطة الشرق الاوسط، وتتجاوز الابعاد السياسية الى أبعاد اخرى ثقافية واقتصادية واجتماعية. وفيما يبدو فإن القيادة الروسية تبنت موقفاً إيجابياً من مبادرة ولي العهد السعودي، وساندت دور اللجنة الرباعية، كما أيدّت حق الشعب الفلسطيني في الحصول على دولة مستقلة وذات سيادة وتطبيق كامل وغير مشروط لخارطة الطريق. وكان ذلك الموقف قد أضاف في رصيد روسيا كيما تستثمر موقفها هذا سياسياً في العالم العربي، تستطيع من خلاله رفع سقف التطلع الروسي في المنطقة العربية سيما وأنها كانت راعيا ثانياً لعملية السلام في الشرق الأوسط ما يمنحها مبرراً قوياً للانخراط السياسي في الشرق الأوسط وتحقيق رغبات متبادلة.

يبدو أن ميلاً حذراً لدى القيادة السعودية نحو إشراك الدور الروسي في قضايا المنطقة بعد أن بات واضحاً بأن الولايات المتحدة سائرة دون اكتراث نحو تحقيق طموحاتها السياسية والاستراتيجية في المنطقة حتى وان تصادمت بشدة مع اطراف عربية اخرى حليفة. فالسعودية تتجه الى تبني الموقف السوري في إعادة احياء الدور الروسي في المنطقة لغرض تحقيق التوازن الدولي وبخاصة في ظل الاختناق السياسي الذي تعيشه السعودية في الوقت الراهن. ثم جاءت قضية احتلال العراق من قبل قوات التحالف الأميركي ـ البريطاني لتكسب الروس مصداقية أكبر في العالم العربي من خلال جهود القيادة الروسية جنباً الى جنب الالمان والفرنسيين من أجل تعزيز دور الأمم المتحدة في موضوع العراق، وتهديد الروس باستعمال حق النقض الفيتو وتبنيها آراء مماثلة عربياً حيال العراق قبل الحرب من قبيل دعوة الرئيس العراقي السابق للتنحي عن السلطة درءا لحرب تنوي الولايات المتحدة شنها لتنطلق منها الى تنفيذ خارطة طريق شرق أوسطية، ولعل من نقاط الالتقاء بين روسيا والسعودية هو تبني كليهما موقفاً متطابقاً ازاء بقاء القوات الأميركية والاجنبية في العراق والعودة الى مجلس الأمن كآلية يجب أن يتم عبرها وضع تصورات حل المسألة العراقية، وانهاء الاحتلال الأميركي للعراق.

المدخل النفطي في العلاقة بين موسكو والرياض

المسألة النفطية في زيارة الأمير عبد الله الى روسيا كانت بلا شك كثيفة الحضور في المداولات الثنائية، وهي تدخل في سياق البحث عن خيارات اقتصادية جديدة في سبيل الهروب من اختناق اقتصادي وشيك تتسبب فيه الولايات المتحدة منذ احتلال افغانستان وثم العراق. فالسعودية تنوي الآن التوصل الى

روسيا تعود الى المنطقة من الباب الذي طردت منه، والمفارقة أن تكون السعودية هي الباب

تفاهم اقتصادي على أمل أن يتحول الى ما يشبه تحالف اقتصادي مع روسيا للاتفاق على مبادىء مشتركة في إدارة السوق النفطية الدولية، والتي ستدخل فيها الولايات المتحدة كقوة قاهرة لارادة صنّاع القرار النفطي في منظمة أوبك.

فكما هو معروف فإن السعودية وروسيا هما أكبر منتجين للنفط في العالم، ولذلك فإن التوصل الى استراتيجية نفطية بين البلدين يعني تفويت الفرصة على الولايات المتحدة وشركاتها النفطية من السيطرة على معدلات الانتاج ونظام التسعيرة في السوق النفطية، وستتعزز فرص البلدين في بناء شراكة نفطية من خلال الاتفاق على مشاريع استثمارية في المجال النفطي وبالتالي التوصل الى تفاهم في مجالي الانتاج والتصدير ما يؤسس لقيام تحالف اقتصادي سعودي روسي يتجه أساساً الى توفير ضمانات قوية للحفاظ على استقرار السوق النفطية وإحباط أية عوامل من شأنها ان تفضي الى تفجير حرب أسعار دولية تؤدي الى إحداث إضطرابات إقتصادية عنيفة في البلدان المنتجة بدرجة أساسية فضلاً عن الانعكاسات الخطيرة على البلدان المستهلكة.

وبطبيعة الحال، فإن التنسيق السعودي الروسي لن يأتي أكله سوى من خلال فتح أبواب العضوية في أوبك لمنتج كبير يلعب دوراً فاعلاً في السوق النفطية العالمية، وبالرغم من أن روسيا حافظت على سياسة متوازية مع منظمة أويك الا أن التطلعات الروسية للتعاون وتعزيز العلاقات السياسية مع العالم العربي تحثها اليوم أكثر من أي وقت مضى على الانضمام لمنظمة أوبك لتكون شريكا فاعلاً في هذه المؤسسة الدولية النشطة، كيما تزيد في قدرتها على الدخول الى المسرح الدولي عبر مؤسسات مؤثرة عالمياً.

السعودية التي واجهت ضغوطاً متواصلة من جانب مؤسسات إقتصادية غربية من أجل إعادة تأهيل كيانها الاقتصادي كشرط عبور لمنظمة التجارة العالمية تشعر بحاجتها الملحّة لقوى مساندة تمنحها الثقة للتخلص من أي ابتزازات سياسية غربية واميركية بدرجة أساسية. فالسعودية مازلت تدفع فاتورة الحرب على الارهاب من سمعتها وثروتها ولا شك أن الجشع الأميركي كان شديد القسوة على الجانب السعودي الذي تنبه في نهاية المطاف الى أن هذا الجشع لا يقف عند حد، فقد أريد من السعودية أن تدفع أثماناً تفوق بأضعاف خسائر الولايات المتحدة في الحادي عشر من سبتمبر وكلها تتم تحت عنوان (الحرب على الارهاب)، وهذا من شأنه أن يسوق السعودية الى حتفها الأخير، ولا يبدو أن الاستقرار الداخلي للسعودية يدخل الآن ضمن استراتيجية المصالح الحيوية الأميركية، فمعادلة الحفاظ على أمن واستقرار السعودية من أجل ضمان تدفق النفط الى الاسواق النفطية لم تعد تحتفظ بكافة عناصرها، فالنفط بات مكفولاً في كل حال.

لهذه الاسباب وغيرها، يدرك الضيف السعودي والمضيف الروسي ويدرك جميع المراقبين بأن المسألة النفطية تمثل جزءا

محورياً في المفاوضات السعودية ـ الروسية، وأن الروس ينظرون الى النفط بوصفه مفتاحاً سحرياً في علاقاتهم مع الشرق الأوسط، ولأن الولايات المتحدة تعوّل كثيراً على النفط الروسي في تعويض أي نقص محتمل في السوق النفطية الدولية، وهذا ما تدركه روسيا جيداً التي تطمح الى استثمار ريعها النفطي في لعب دور فاعل في أسعار النفط، فلذلك يتوقع أن ترسم الادارة الأميركية خططاً لاحباط مفعول الاتفاق النفطي المحتمل بين روسيا والسعودية.

في ظل وضع كهذا، هناك ثمة سباق اميركي ـ شرق أوسطي على إيصال رسالة مقنعة للقيادة الروسية حيال دور النفط في السوق الدولية، فالأميركيون يغرون الروس بأن نفطهم قابل لتحقيق مكاسب كبيرة فيما لو تم استعماله كإحتياطي إستراتيجي في حال إضطراب السوق النفطية الشرق أوسطية، أما الدول العربية والقيادة السعودية في القلب منها تحاول التأكيد على أن التنسيق المشترك في موضوع النفط وحد الكفيل بتأسيس أرضية مناسبة لعلاقات مستقبلية وطيدة مع الشرق الأوسط. وكلا الرسالتين تشتملان على مغريات للقيادة الروسية، فهي لا تريد أن تفقد الدعم الأميركي، ولا تريد أن تؤجل فرصة سانحة اليوم للدخول الى الشرق الأوسط لبناء تحالف مستقبلي يلبي تطلعاً سياسياً واستراتيجياً روسيا طالما حلمت به في فترات سابقة قبل أن ينهار الاتحاد السوفيتي.

النظرة السياسية الأميركية اختلفت كثيراً في تقييم الدور الروسي في الشرق الأوسط، فهي نظرة تراجعت فيها الهواجس من حضور القطب الروسي في أعقاب تفكك الاتحاد السوفيتي وغروب الأيديولوجية الشيوعية ووقوعها في قبضة الليبرالية الغربية واضطرارها للدخول في برنامج اصلاحي مشروط. في الحاصل النهائي، فإن مقومات بناء تحالف سياسي عابر للقارات تديره موسكو أو حتى تلعب فيه دوراً موازياً للقطب الأميركي أو في تحقيق توازن دولي يبدو الآن مستحيلاً، فحركة عدم الانحياز أصبحت الآن تاريخاً فلم تعد نظم التجارة والاقتصاد والاتصالات التي كانت تستمد مؤونتها من الثقافة التحررية المناهضة للاستعمار والبرجوازية الغربية قابلة للانبعاث في ظل طغيان العولمة، التي أحبطت مفهوم عدم الانحياز وسياسة الحياد الايجابي، فيما تنبث اليوم وبصورة وحشية ثقافة التبعية بعدما أصبحت الولايات المتحدة القطب الأقوى والأوحد والأكثر انتشاراً بكل قواه العسكرية، والاقتصادية والسياسية والاستخباراتية.

الشرق الأوسط والمنطقة العربية على وجه الخصوص، وللأسباب سالفة الذكر، لم تعد قادرة في ظل انفلاشات في بنية النظام السياسي العربي قبالة اجتياح جلوبالي اميركي، على تبني سياسات مستقلة عن الدور الأميركي، فهذا النظام يسير الى حتفه الآن، فيما يعد اللاعب الأميركي نفسه لاشاعة نموذجه في التغيير المنسجم مع مصالح واستراتيجياته بعيدة المدى.

فقد بات مدركاً الآن أن الضغوط الأميركية في إحداث خلخلات عنيفة في البنى الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية في الشرق الأوسط مصممة لارساء نظام تبعية جديد يتناسب وتوحدّها الكوني وتغوّل عولمة تضرب بأمواجها كل القوى المتوازيه القائمة أو بقاياها.

السعودية وروسيا:
البحث عن حلفاء والتطلع الدولي

روسيا التي تحاول النهوض ببطء شديد للدخول في حلبة الصراع الدولي، من أجل تعويض جزء من خسارتها الفادحة في النظام الدولي تحدّق كثيراً في القارة الأوروبية بحثاً عن حلفاء جدد تجسّر بهم الفجوة العميقة مع القطب الأميركي الممتد بسرعة فائقة على الخارطة الدولية. فهناك يلجأ الضعفاء الى بناء شكل من أشكال التكتل يضاهي الدور الأميركي، الذي أثبت تفوقه حتى الآن وبخاصة بعد احتلال العراق، حيث ظهر أن الأميركيين ومعهم البريطانيين، يعملون بصورة منفردة وقد قرروا تجاوز الدور الأوروبي، وبخاصة بعد أن فشل تكتل روسيا والمانيا وروسيا والى حد ما بلجيكا في جبه القرار الأميركي بغزو العراق مهما كان الأمر، وبدون الرجوع الى هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن.

والسعودية وهي تنظر الى الساحة الدولية، التي تشهد أميركياً كاسحاً حيث تحوّلت الى لاعب وحيد دون منافس في هذه الساحة، ترمق خطراً محدقاً بها اقتصادياً وأمنياً وسياسياً من قبل القادم الأميركي الى المنطقة في هيئة مستعمر لا كحليف استراتيجي، وهذا ما يدفعها بشدة نحو البحث عن حلفاء أو أنصاف حلفاء تتوصل معهم الى إتفاقيات كليّة أو جزئية ثنائية أو جماعية لتشكيل جبهة من الحلفاء لمقاومة النظام المحوري الجديد في العالم. اختيار روسيا كطرف يمكن التوسل به في الدخول الى جبهة الحلفاء يبطن ترتيبات راهنة ومستقبلية، وحتى الآن لم يظهر من تلك الترتيبات على سطح الماء سوى الجانب الاقتصادي وفي شقه النفطي بدرجة أساسي، الا أن هذا الخيار قابل، حين تجري قراءته، في سياق الجهد الاوروبي والروسي لبناء تحالف شبه استراتيجي في المستقبل خصوصاً مع حسم الموقف البريطاني أوروبياً.

السعودية تجد الآن في روسيا بعد غروب الايديولوجية الحمراء المناوئة للدين عن موسكو، طرفاً مؤهلاً للدخول في تحالف معه مستقبلاً، ولكن طبيعة هذا التحالف تبقى رهينة تحولات سياسية محلية ودولية، ولا شك أن هذا التحالف لن يصل الى مستوى فتح الاسواق السعودية أمام شركات روسية للدخول في مجالات هي مصنّفة ضمن الامتياز الأميركي والأوروبي الغربي، وبخاصة المجالات المتعلقة بالتكنولوجيات المتقدمة.

ولكن السعودية، في ذات الوقت، والتي كانت ترى في الدور الروسي في منطقة الشرق الاوسط خطراً كبيراً على استقرارها السياسي تميل كثيراً الآن الى اعادة احياة هذا الدور ولكن هذه المرة ضد الدور الأميركي، بعد إن اكتشفت بأن مشروعاً اميركياً ـ اسرائيلياً يتم تنفيذه الآن لتغيير خارطة الشرق الاوسط عبر بوابة السلام المزعوم تخسر فيه مكانتها وأمنها واستقرارها. ولعل الكفاءة الدبلوماسية السورية قد نجحت الى حد كبير في إقناع القيادة السعودية بأن إعادة تأهيل الدور الروسي شرق أوسطياً سيلبي جزءا من التطلع السياسي العربي نحو إعادة التوازن لوضع بات يميل كثيراً لصالح الطرف الأميركي. يبقى أن إعادة تأهيل الدور الروسي تتطلب شراكات تجارية وحضوراً عسكرياً واتفاقيات دفاعية على المدى

البعيد، بالنظر الى التحديات الداخلية (الاقتصادية والاجتماعية بدرجة أساسية، والتحول من نظام اقتصادي اشتراكي الى آخر ليبرالي مشروط) وهي تحديات ظلت تعصف بروسيا منذ تفكك الاتحاد السوفيتي ما جعلها غير قادرة على مزاولة دور فاعل خارج حدودها.

معوّقات الدور الروسي دولياً لا تنحصر في الجانب الاقتصادي بل هناك معوّق آخر يمتد الى وحدتها الوطنية، فقد أصبحت الشيشان الخاصرة الضعيفة في الجسد الروسي منذ تفكك الاتحاد السوفيتي، فالقضية الشيشانية بحسب عقيدة موسكو يمكن حلها من خلال تنسيق المواقف الروسية السعودية، فموسكو تعتقد بأن الرياض تملك بعض مفاتيح الحل بسبب وجود جماعات من مواطنيها في صفوف القوات الشيشانية المناوئة للقيادة الروسية، فالنزوع الاستقلالي لدى قطاع واسع من الشيشانيين يستقي جزءا هاماً من زخمه المعنوي والمادي من الجماعات الجهادية التي مثّل القائد العسكري المغدور به خطّاب السعودي الجنسية أحد رموزها الكبار. ينضاف الى الشيشان قوميات اخرى متوزعة على التراب الروسي تحمل تطلعات استقلالية مماثلة ولكن بدرجة أقل ويخشى أن تتحول الى عناصر ضغط يستعملها الطرف الأميركي.

لاشك أن حلم التحالف العسكري بقيادة روسيا بات الآن مستحيلاً وخصوصاً بعد أن نجح الناتو وعلى نحو سريع في وراثة التركة السوفييتية والتمدد الى التخوم الروسية. أضف الى ذلك العجز الكبير الذي أصاب القدرة العسكرية الروسية وانسياقها نحو تسوية أوضاع اقتصادية بشروط شديدة الاجحاف، وإخضاعها تحت سلطة البنك الدولي الذي فرض شروطاً باهضة على الروس من أجل إصلاح وضع اقتصادي وسياسي جوهري.

من جهة ثانية، تدرك روسيا الآن بأن الزيارة السعودية تأتي في مرحلة تشهد فيها العلاقات مع الولايات المتحدة إرباكاً حاداً منذ الحادي عشر من سبتمبر، فهناك غايات سعودية بطبيعة الحال من الزيارة لموسكو وهذا ما لا تحتاج القيادة الروسية للتذكير به، وأن المصالح المشتركة تنظر اليها روسيا في سياق حسابات سياسية واقتصادية دولية، فروسيا تقوم بعملية قسمة دقيقة في علاقاتها الدولية، فهي مع الغرب تطمح لتمهيد الطريق للعبور الى المنظمات الاقتصادية الاوروبية مثل المجموعة الأوروبية. يضاف الى ذلك أن الرهان السياسي الروسي يتجه محورياً الى أوروبا، زائداً أن ما تحصل عليه روسيا من الولايات المتحدة في هيئة دعم اقتصادي يعطّل الى حد ما التطلع السياسي الروسي في منطقة الشرق الأوسط والذي سيكون فيها التنافس على حساب أجندتها الأوروبية والدعم الاقتصادي الأميركي. فمن منظور تجاري، تواجه روسيا منافسة شرسة في المنطقة العربية التي تحوّلت الى سوق استهلاكية لمنتوجات الشركات الغربية والأميركية بخاصة، واذا كان هناك ما يمكن للروس تقديمه للشرق الأوسط وتملك فيه جدارة تنافسية فهي الزراعة والصناعة الى حد ما، وقد يكون هذان المجالان مدخلاً مناسباً لروسيا كيما تلعب دوراً اقتصادياً وتالياً سياسياً في

السعودية باتت مقتنعة بأن روسيا يجب أن تلعب بحذر دوراً قطبياً في الشرق الأوسط لمواجهة الولايات المتحدة

الشرق الأوسط.

الطلب الروسي بالانضمام الى منظمة المؤتمر الاسلامي تأسيساً على أن نسبة المسلمين من إجمالي السكان الروس تصل الى نحو ٢٠ بالمئة وهذا وحده يكفي لمنح روسيا حق الانضمام للمنظمة بصفة مراقب، يتجاوز الحدود الدينية، بل يتنامى التطلع الروسي الى تطبيع علاقاتها مع منطقة بقيت شديدة الخصام مع ايديولوجية وصمت بالالحاد لعقود طويلة، وأن غسيل الماضي يتم التخلص منه عبر بوابة دينية ومن خلال منظمة المؤتمر الاسلامي كمنظمة حاضنة للدول الاسلامية، كما أن لروسيا رغبة في أن تجد صوتاً اسلامياً في قضية مؤرقة تسربت الى الثقافة السياسية الشرق الأوسطية عبر قناة تعبير دينية وأصبحت جزءا من قضايا المسلمين الحرجة. فروسيا تريد بانضمامها الى منظمة المؤتمر الاسلامي محو صورة الماضي الالحادي عنها وإدخال صورة أخرى عن روسيا من البوابة التي طردت منها بالأمس لنفس الأسباب.

روسيا التي تملك مبررات ضئيلة للدخول الى الشرق الأوسط اقتنصت بتكلّف شديد مسألة الانضمام لمنظمة المؤتمر الاسلامي كيما تحيله الى بوابة واسعة لتحقيق مآرب عديدة سياسية واقتصادية وثقافية. ومن المفارقات المدهشة أن روسيا تستغل الآن قضايا كانت بالأمس تشكل مبررات المجابهة معها في الشرق الأوسط، فالولايات المتحدة اليوم تشبه الى حد كبير صورة خصمها بالأمس، فهي اليوم تحتل أفغانستان بعد أن كانت الأخيرة تحت الاحتلال السوفيتي، وهي - الولايات المتحدة - تعتبر الاسلام اليوم خصمها الحضاري رقم واحد، وكان الاتحاد السوفيتي بأيديولوجيته الشيوعية المناوىء الأقوى والأوحد للإسلام وباقي الأديان في العالم. فمبررات التحالف بين الولايات المتحدة والسعودية هي اليوم ذات المبررات التي تصلح لتحالف سعودي - روسي ولكن هذه المبررات غير منفصلة عن ظروف تاريخية مختلفة فقدت فيها روسيا مقومات القطبية المنافسة لنظام القطبية الواحدية.

كل التطلعات والترتيبات الجارية الآن بين السعودية وروسيا ليست بعيدة عن الرقابة الأميركية، فهي تخضع لتقويم دقيق من جانب واشنطن التي لن تسمح لأي ترتيبات قادمة بأن تخل بتفوقها وهيمنتها السياسية والاقتصادية في الشرق الأوسط، ولديها من أوراق الضغط ما يكفي لوضع تلك التطلعات في حدود ضيقة، عن طريق استغلال نقاط الضعف الروسية وأبرزها الازمة الاقتصادية والاجتماعية. وهذا لا يقلل من حذاقة الساسة الروس الذين يعلمون سلفاً بما تحمله الجعبة الأميركية، فهم ليسوا على استعداد حتى الآن للدخول في مناطق تثير استفزاز الولايات المتحدة، وبخاصة بيع السلاح أو الاستعمال السياسي بإفراط للنفط بما يعجّل فرص المجابهة بدلاً من الدخول الهادىء الى الشرق الأوسط. ولكن يبقى التطلع المشترك الروسي السعودي يحقق تقدماً ثابتاً ويحظى هذه المرة بتأييد عربي واسع رسمي وشعبي لمواجهة القطب الأميركي.

في ذكرى أحداث الحادي عشر من سبتمبر

الحداثة المتفجِّرة

الاختلال الخطير بين داخل يجري تشويه تحوّله التحديثي إعداداً للانقضاض عليه وحداثة ذات نزعة إمبريالية ولد ظواهر شديد التفجرَ والتناقض. فالتكنولوجيا المتقدمة صاحبتها ظواهر أصولية متطرفة وأصبح العنف وسيلة مجابهة مع تلك التكنولوجيات المنبعثة من دوائر إمبريالية تستحوذ عليها رغبة تحويل العالم الى سوق ضخم لتصريف منتجاتها، وتقسيم العالم الى مجتمع منتج وآخر مستهلك، كتمظهر آخر لثنائية المستعمِر والمستعمَر.

التحديث غير المتوازن في بلادنا قبالة حداثة معولمة وبصورة أدق امبريالية في الخارج فجّرت وتفجّر على الدوام تلك الظواهر الراديكالية التي أخذت هي الأخرى شكلاً آخر من أشكال العولمة ليس كرد فعل على أوضاع محلية اقتصادية واجتماعية وسياسية مختلّة فحسب، بل وعلى أوضاع دولية لا تقل إختلالاً.

توجيه النقد الى الخطاب الديني الاصولي، ومناهج التعليم الرسمي، وفساد النظام السياسي والطبقة الحاكمة، والاوضاع الاقتصادية المتردّية والتخلف الثقافي والعلمي، وهي علل قاصمة، قد يتطلب - أحياناً - إدراجه في مدار تحوّل كوني أضفى صبغته الخاصة على هذه الاختلالات. فالخطاب الديني المتخالف عولمياً نجم عن إنهيار الحدود بين الخاص والعام، أي بين رسالة إصلاح الدار ورسالة اصلاح الكون، فهذا العنف العابر للقارات يواجه كل ضغائن الحداثة تجاه الآخر، حتى أصبحت قيم التحضر منبوذة نبذاً دينياً، لأنها تحولت الى قيم المجتمع الغالب والحضارة الغالبة وفي النهاية الاستعمار.

إنه عالم إختطاف المبادرات من الشعوب من قبل فئة قليلة في هذا العالم ثم تواصلت عملية الاختطاف لتطال الدول، وأن جماعات العنف العابرة للقارات تعزز وجودها في المناطق التي تتم فيها صناعة مستقبل تفقد فيها الشعوب والحكومات القدرة على المبادرة.

الانتقال المباغت في أوضاع إجتماعية واقتصادية وتقنية خلال فترة زمنية وجيزة والانغماس في مشاريع تحديثية فائقة السرعة جنباً الى جنب حداثة متغوّلة بنزعة إمبريالية استعمارية، كل ذلك أفضى الى تفجير طائفة تناقضات صوّبت سهامها الى الذات والآخر، وتلك كانت خلاصة تعاكس سيري بين الداخل والخارج.

الصورة المقابلة التي تكشّفت بوضوح مثير للذعر هي انهيار صرح البرجين في الحادي عشر من سبتمبر. فهذا الحدث الضخم فجّر بحجمه نزوعات إمبريالية كامنة ومؤجلة داخل دوائر القرار وجماعات المصالح في الدولة العظمى الوحيدة، فأحضرت الى الواجهة نظرات كانت تتأرجح للسقوط في الصراع الدولي، فتعززت مقولات فوكوياما في (نهاية التاريخ) واطروحة صموئيل هنتغتون في (صراع الحضارات) وهما من بين اطروحات أخرى صدرت في فترات متقاربة لتقدم رؤية فلسفية لغزو العالم، على أساس أن النموذج الليبرالي الغربي في نسخته الأميركية وحده النموذج القابل للتعميم كونياً. وراحت هذه النظريات تقدّم الطعم لجماعات عديدة في العالم للانزلاق الى ساحة مواجهة غير متكافئة على أساس صراع الخير والشر، وانبعثت من جديد مرحلة الاستعمار في طوره الجديد متسلحاً بنفس مبررات القوى الاستعمارية القديمة، بضرورة أن يعاد للغرب دوره الامبريالي في السيطرة على العالم. وبهذا فإن الخطيئة التي وقعت في الحادي عشر من سبتمبر رهنت إستقلال الشعوب وسيادة الدول الى خيارات قهرية حين منحت القوة العظمى في العالم نفسها حق استعمال القوة بسفه شديد والاطاحة بالدول ووضع خرائط للعالم دون اكتراث لقوانين الامم المتحدة والاتفاقيات الدولية. هذا الجنوح المفرط في إستغلال حوادث الحادي عشر من سبتمبر لانزال العقاب الجماعي ضد العالم لابد له وبصورة طبيعية أن يفجّر ردود فعل لانمطية على التنكيل الامبريالي بالعالم، ثم جاء هذا الاصطفاف المشين مع الارهاب الاسرائيلي ضد الشعب الفلسطيني محمولاً على عنوان مكافحة الارهاب، ليضخ مزيداً من شحنات التوتر لدى جماعات جاهزة للموت، أنتجتها مشاريع التحديث المشوّهة في بلدانها وجاءت الحداثة الامبريالية لتملي الرغبة في إقتحام محرقة الموت من أجل التحرر من فورانات القهر المفروض عليها.

ولربما ساهمت الاستعلانات الكثيفة لنوايا مبيتة بإعادة تنظيم العالم والشرق الأوسط بخاصة على أساس رد فعل إزاء أحداث الحادي عشر من سبتمبر في إدخال المنطقة العربية والاسلامية الى ساحة مواجهة مفتوحة بين الولايات المتحدة وحركات التطرف. فإعادة تنظيم العالم إذن مثلت إحدى مرتكزات الاستراتيجية الأميركية الجديدة في (دولة ما بعد الحداثة) كما نظر لها روبرت كوبر الخبير في الشؤون الآسيوية وقضايا الارهاب الدولي. فهذه الدولة تشكل الاطار المفهومي الجديد للعلاقات الدولية وتشرعن عودة نظام إمبريالي جديد يتخذ من هجمات الحادي عشر من سبتمبر ذريعة مضخّمة لقلب أوضاع العالم كما تشي مقدمة رئيس الوزراء البريطاني توني بلير، الذي اعتبر بأن البحوث التي ضمها الكتاب تمثل تصميماً لعالم آخر تسوده قيم الغرب.

في حقيقة الأمر، أن أطروحة دولة ما بعد الحداثة وطروحات أخرى مماثلة زرعت مادة تفجيرية هائلة في مناطق عديدة من العالم، ولكن إعتماد الشرق الأوسط كمنطق لتطبيق الأطروحة، قد أشعل مصادر التوتر في بلدان عديدة من الشرق الأوسط، وكانت السعودية الجزء الأكثر إلتهاباً بسبب فرضية العلاقة الوطيدة بينها وبين أحداث الحادي عشر من سبتمبر. فالحملة الاعلامية المكثفة ضد جماعات التطرف المنبعثة من الأراضي

السعودية، والمتضمنة لتهديدات بخرق السيادة الوطنية عن طريق تغيير خارطة المنطقة واستبدال نظم سياسية مصنّفة ضمن قائمة دول ما قبل الحداثة من خلال القوة الغاشمة، لا شك أنها حرّكت نازعاً مغموراً لسنوات، والممثل في حركات التحرير والنضال ضد الاستعمار، في فترة ما قبل الحرب الباردة. فالعودة الى الاستعمار المباشر كما حدث في أفغانستان والعراق يستعمل الآن كإستراتيجية وسلوك سياسي في قضية الصراع العربي الاسرائيلي ويعيد دون ريب وبصورة تلقائية إحياء قوى التحرر الوطني. غير أن العنصر الاضافي في المواجهة مع الاستعمار هو دخول جماعات جديدة متسلحة بخطاب ديني راديكالي كانت في فترة سابقة تقاتل في خط موازٍ مع الخط الأميركي وأجندته السياسية.

هذه الجماعات لم يكتمل نموها الا داخل مشروع تحديث مشوّه في بلدانها الاصلية، ولما أبصرت طريقها الى التغيير على تعارض مع حداثة امبريالية التقت بعناصر إحتراق محلية فأدت الى هذه الاشتعالات المتواصلة في داخل بلدان هذه الجماعات وخارجها، وكما تنبىء كلمة لزعيم تنظيم القاعدة الشيخ أسامة بن لادن، فإن الولايات المتحدة والغرب عموماً لن ينعم بالأمن قبل أن ينعم به أبناء فلسطين، وهي تلخّص بدقة ماذا تسببت به حداثة امبريالية في العالم من كوارث اجتماعية واقتصادية وثقافية. فالتسوير الجماعي لأوروبا والولايات المتحدة من خلال تكتلات سياسية وأحلاف عسكرية كان يهدف الى درء تهديدات أمنية قريبة وبعيدة، ولكن صانعو السور يغفلون كثيراً وببلاهة أحياناً عن أن الاضطرابات الهائلة التي تموج بها المناطق الواقعة خارج السور ستفضي الى تحطيمه وتسلل جماعات ناقمة على عولمة مؤمركة ذات نزعة امبريالية، كيما تعيد لها بضاعة مستوردة فاسدة.

دولة ما بعد الحداثة مصممة على محاربة دول ما قبل الحداثة، التي لازالت تنوء بثقافة تقليدية نائية عن العصر، وبتخلف اقتصادي واجتماعي وسياسي لا يمكن لها بحسب فحوى اطروحة دولة ما بعد الحداثة الا بإخضاعها الى نظام تبعية جديد لاعاقة أي حركات مقاومة بكافة أشكالها يمكن لها النهوض لتهديد المصالح الحيوية لدولة ما بعد الحداثة، وهذه الأخيرة ما هي الا نسخّة معدّلة للتمركز الأوروبي الأميركي ونظام المركز والاطراف الذي تناوله سمير أمين في اطروحته المعروفة.

ولكن دولة ما بعد الحداثة لا تسلم من نشوء ظواهر مضادة، تماماً كما أن دولة الحداثة خلقت خارجها ظواهر الفقر والتخلف والاستبداد في دول ما قبل الحداثة، والتي جرى التعامل معها بالدبلوماسية المتوحشة والحرب، فالظواهر الدينية المتطرفة هي رد فعل تلقائي على دولة ما بعد الحداثة التي تتوسل الآن بإستراتيجيات قديمة ومن أبرزها الاستعمار المباشر، مع إقحام العنصر الديني في المعادلة.

هذه الاستراتيجيات تقدّم كافة مبررات الاصطدام في المستقبل، وتصنع مناخات لنشوء ظواهر أكثر راديكالية من السابق، بحسب قانون الفعل ورد الفعل. فحين تكون سيادة الدول مهددة ما لم تحصل على صك براءة بعدم رعاية الارهاب، وحين تطلق دولة ما بعد الحداثة يدها في أرجاء العالم، لا يمكن حينئذ الا إندلاع معارك التحرير والنضال، وحين توصم أديان الشعوب الأخرى وثقافاتها بالعنف والتخلف والرجعية والارهاب لتحريك أساطيل

الحداثة الامبريالية تتحمل مسؤولية مشتركة مع التيارات الاصولية المتطرفة في قضايا العنف والارهاب

الطائرات واطلاق الصواريخ شديد التدمير على بلدانها، دون مبررات صلبة يكتسب النضال ضد الاستعمار اليوم زخماً شعبياً وسياسياً أقوى من ذي قبل يوم كان مشروع التحديث المشوّه في مرحلته الطفولية، والدولة في تحالف مع الخارج، والاستعمار نفسه لم يكن بهذه المباشرة والوقاحة.

تحويل الاسلام الى خصم حضاري لدولة ما بعد الحداثة يحمل رسالة شديدة الوضوح، تساعد على وضع تصور لطبيعة المواجهات المحتملة، فهي ليست صدام بين أصوليات كما ينزع الباحث الباكستاني طارق علي الى تقريره، بل هو صراع بين دولة ما بعد الحداثة والعالم، ولكن دفع الاسلام الى قلب المواجهات وتحويله الى جبهة عداوة مناوئة للدولة المزعومة يستدرج جماعات دينية عديدة الى معركة تؤكد الدعوى المرفوعة ضد الاسلام بكونها محرضاً أساسياً على تهديد الأمن والسلام الدوليين (بحسب المفهوم الغربي)، وبخاصة لشعوب دولة ما بعد الحداثة الاوروبية ـ الأميركية، تمهيداً وتبريراً لتغيير العالم بأسره.

ولا مناص في ظل السير الحثيث نحو إطالة أمد قرن العبودية بحسب وصف طارق علي للقرن العشرين، من تكاثر الحركات الاصولية التي ستخرج من الأحياء الفقيرة وبيوت الصفيح ومعامل الأسياد، طالما أصرّت الحداثة الامبريالية على انتهاك حقوق الشعوب في الاستقلال والحرية والكرامة، وستظل فلسطين قضية عربية وإسلامية محرّضة على النضال بكافة أشكاله. فالحداثة الإمبريالية ترفد الآن وبتبجح غير مسبوق الافكار الصهيونية اليمينية المتطرفة بكل الوقود الارهابي لاستعماله ضد الشعب الفلسطيني، ونشر الدمار في القرى والمدن الفلسطينية، وهذا كله يغذي مكائن الغضب والتطرف في الشرق الأوسط. فلا يمكن بعد الآن إشهار مأساة نيويورك وواشنطن في وجوه أطفال فلسطين.

إن الاسترسال مع رواية الدراما الأميركية لحوادث سبتمبر وإكراه العالم على الاستمرار في البكاء على ضحايا نيويورك وواشنطن، ريثما تتموضع كتائب القوات الأميركية على الخارطة الدولية، يجب أن يوضع الآن في حدوده، فهذه الرواية المأساوية كسبت تعاطفاً دولياً يفوق بأضعاف ما حصل في هيروشيما وناجازاكي، وفي فلسطين ولبنان وفيتنام، وفي نفس الوقت جرى استغلالها أبشع استغلال حين سمحت الادارة الأميركية لنفسها وبإسم ضحايا البرجين بغزو العالم بحثاً عن أثمان تعود أولاً واخيراً لفئة من أصحاب المصالح داخل الادارة الاميركية.

هذا الانجراف الحاد نحو إحتلال مناطق مختارة من العالم بإسم مكافحة الإرهاب يؤكد مرة أخرى بان التطرف والإرهاب تصنع ظروفهما دولة ما بعد الحداثة الاميركية قبل أن يصل الى دولنا. هذا لا يحبط مطلقاً وبأية حال دعوى أن مناهجنا تشتمل على مواد صناعة التطرف، ولا يهز مطلب التيار الاصلاحي العام في بلادنا بأن الارهاب يجابه بالاصلاح السياسي وليس بالإرهاب كما توهّم الرئيس الأميركي جورج بوش الإبن في خطاب بعيد الحادي عشر من سبتمبر. مؤسف القول بأن إلصاق التهمة كاملة بتيار عنفي نشأ في ديارنا في ظل عملية تحديث مشوّهة تتحمل مسؤوليتها الدولة، أسدل ستاراً سميكاً على حداثة إمبريالية تقودها أميركا للعودة بالعالم الى مرحلة الاستعمار المباشر.

تحوّل

الانتقال الخاطف
من الجزيرة الآمنة الى صواريخ سكود

ثمة مشهد دراماتيكي تمر فيه الصور بطريقة خاطفة، فالتحول المفاجيء في الوضع الأمني الداخلي باغت الدولة ورهن المجتمع، فأسطورة (الجزيرة الآمنة) أو (الدولة القابضة على الزمام) تحوّلت على حين غرة الى مجرد دعوى زائفة فيما تحولت الدولة الى ما يشبه جثة متحركة لا تملك دفع الضرر عن نفسها فضلاً عن من تسود.

فالانهيار الأمني الخطير لم يكن مفاجئاً لكثير من المراقبين والمحللين، فسياسة ترحيل المشاكل الى المستقبل زرعت بذور التطرف وساهمت ظروف خارجية في توفير بيئة خصبة لنموها السريع، ثم جاء الحصاد المرّ بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر والتي أخرجت الى السطح ما كان ثاوياً في داخل المجتمع، فخرجت جماعات العنف من قمقمها للاصطدام بالدولة ويخشى ان تطال عملياتها المجتمع نفسه.

ليس بالإمكان الآن العودة بعقارب الزمن الى الوراء، فظاهرة العنف مرشحة للتصاعد طالما أن قراراً صحيحاً لم يصدر حتى الآن من قبل الدولة. وستبقى البلاد مفتوحة على مفاجئات أمنية غير سارة، طالما أن هناك مشاكل إقتصادية واجتماعية لم تحل، وفكراً متشدداً لم يروّض، واحتكاراً تاماً للسلطة لم يتكسر، وإصلاحاً سياسياً لم يقر.

لم يكن انتقال البلاد والعباد من وضع أمني مستقر الى آخر متفجر وبوتائر متسارعة مفصولاً عن تبدلات داخلية وخارجية مهما حاولت السلطة الحاكمة وبخاصة وزارة الداخلية تصويره إعلامياً، فهذا الانتقال هو الاستعلان الأقصى والأقسى عن تبدّلات خطيرة في حياة السكان، طالت أوضاعهم المعيشية، وحقوقهم الاجتماعية والثقافية والسياسية، وحرياتهم في التعبير والتجمع..وهي تبدّلات لم تنظر اليها الدولة بوصفها قضايا ملحّة أو يجب أن تحظى بالاهتمام الكافي لحلها جذرياً، ولذلك ظلت هكذا تتراكم، وتتفاعل، وتتفاقم وصولاً الى بلوغها درجة الغليان والتفجّر.

فجمود الجهاز الإداري للدولة والتحوّلات المجتمعية السريعة لاشك أنها خلقت فجوة واسعة لا يمكن ردمها، كما صنعت ظروف مواجهة بين المجتمع والسلطة، وأخذت المواجهة أشكالاً مختلفة، بعضها سلمي وآخر متفجّر، ولكن ثمة مبررات مشتركة تجمع بين هذه الاشكال، ولكن الاختلاف هو في طريقة التعبير.

فجماعات العنف في تعبيرها الصدامي عن احتجاجها على السلطة ليست سوى جزءا من مجتمع يمور في نشاطات احتجاجية بأشكال متعددة، وأن محاولة عزل ظاهرة العنف عن الدائرة الاحتجاجية الأوسع في المجتمع هي أسلوب تقليدي تتبعه السلطة في خداع الذات والآخر، يقوم على أساس اعتبار أن هذه الجماعات تمثل نتوءات نافرة ليست لها صلة بالنسيج الاجتماعي العام. صحيح أن العنف كأسلوب في الاحتجاج السياسي يعد تطوراً غير مسبوق، ولكن الصحيح أيضاً أن الافراد الضالعين في عمليات العنف ينبعثون من مجتمع بات منخرطاً وعلى نحو كثيف في نشاطات إعتراضية على الدولة، فهؤلاء ليسوا من كوكب آخر بل هم قسم من تيار شعبي عارم ولكن له طريقة خاصة في التعبير عن معارضته للسلطة.

الدولة ضيّعت فرص الحل وأمامها مشروع إنقاذ وطني كفرصة أخيرة

في حقيقة الأمر، أن تصاعد درجة العنف الى حد تهريب شحنات من صواريخ سكود الى داخل البلاد ليس سوى رد فعل صارخ على الانسداد السياسي، وخمود الآمال المعقودة على السلطة في الاصلاح. وهذا لا يحتمل بأية حال تبرير سلوك جماعات العنف، فسيظل العنف بأي شكل كان، وبصرف النظر عن مصادره سواء كانت السلطة أو المجتمع مرفوضاً ومداناً مهما كانت مبرراته وايديولوجيته، ولكن في ذات الوقت لا يجب إبراء ذمة الدولة في هذا التطور، دع عنك دور الدولة نفسها في رعاية هذه الجماعات أو قسم كبير من أفرادها حين كانوا في أفغانستان وضمن مشروع الجهاد ضد الاتحاد السوفيتي السابق.

وثمة أمر آخر تلفت إليه عميات تهريب الاسلحة وبالكمية والنوعية التي نسمع عنها جميعاً وما خفي ربما كان أعظم، أن عقيدة هذه الجماعات تقوم على أساس أن التغيير السياسي يجب أن يتم بقوة السلاح وبالمواجهة العسكرية وباستعمال كافة الاسلحة الخفيفة والثقيلة، أي بمعنى آخر إعلان الحرب على الدولة. وهذا أمر ربما لم تلتفت اليه الدولة قبل بدء تكثيف حملات المداهمة والتفتيش والملاحقة، ولكنها تدرك الآن بأن تهديداً خطيراً يحيق بالأمن الوطني وبوحدة الدولة معاً، والسبب في ذلك أن نوعية الاسلحة لا تستهدف عمليات صغيرة ومحدودة بل هي تستعمل في الحروب بين الدولة.

ولكن في ذات الوقت..هناك ما يدعونا نحن كجزء من تيار إصلاحي عام أن نؤكد المرة تلو الأخرى بأن العنف لا يواجه بالعنف، لاسيما وأن مصادر العنف، أسبابه، وأيضاً حلوله باتت معروفة ولا تنبيء مثل خبير كالدولة في موضوع بات معلوماً لدى الجميع، فهذا الاسترسال العنيد نحو إشاعة أجواء توتر في مناطق عديدة من المملكة بحجة ملاحقة الجماعات الارهابية والقضاء على العنف هو كما يقال (تطبيش)، ولم يسفر عن إستعادة الاستقرار الأمني بحال. بل قد يستعمل فشل الدولة في إعادة الهدوء والاستقرار الى المناطق التي شهدت

ومازالت حوادث عنف وجرائم قتل صغيرة وكبيرة ضد الدولة ذاتها.

فإنهيار الوضع الأمني يعتبر مؤشراً خطيراً، لأنه يضيف عنصراً جديداً في الاحتجاج الشعبي على الدولة، وذلك بعدم قدرتها على حفظ أمن وسلامة المواطنين، كما يضيف إخفاقاً آخر الى قائمة إخفاقاتها في المجالات الأخرى وبخاصة المتعلق منها بوظائف الدولة الرئيسية كالتعليم والصحة والخدمات العامة، فإذا أضيف لها الأمن جاءت المحصلة النهائية كارثية، وحينئذ تصبح الدولة فاقدة لمبدأ القيمومة والسيادة.

وصول الدولة الى مرحلة اللاعودة لا يترك لها خياراً آخر غير الدخول في مواجهة شاملة مع المجتمع، اذا ما رفضت مبدأ الاصلاح السياسي الجوهري والشامل. فالاهتزازات العنيفة في بنية الدولة قد تتسع وتكتسب مزيداً من الزخم والأنصار في ظل تعامل السلطة الساخر أحياناً كثيرة مع دعاة الاصلاح، ونبذ الأصوات الراشدة في هذا البلد.

فالدولة بمنهجها غير الرشيد مع التيار الاصلاحي السلمي العام، تفسح الطريق لنشوء ظواهر عنفية بأشكال غير مسبوقة. فاليأس الذي ينتاب التيار الاصلاحي العام من الدولة يجعل الخيارات السلمية هزيلة وهشة وغير مجدية، فيما تسهم الدولة بسلوكها اللاأبالي وأحياناً المذلّ في تعزيز الخيارات الراديكالية كما هو حاصل الآن، حيث تعيش الحكومة معركتها الخاصة مع جماعات العنف.

استبداد الشعور لدى العائلة المالكة بأن الاصلاح السياسي كما العنف يستهدف ابتداءً وإنتهاءً تدمير ملك آل سعود، وسرقة التركة السياسية منهم، هو ما يجعل أساليب الحل دائماً وفق ذلك الشعور، فالاصلاح مرفوض لأنه سيفضي الى تآكل الملك ومصادرة الحق التاريخي للعائلة المالكة، والعنف مرفوض لأنه يقود الى تفتيت سلطان آل سعود. وينسى أفراد هذه العائلة بأن الأضرار التي أصابت المجتمع بسبب هذا الشعور المستبد كانت كفيلة بإعلان حالة طوارىء حقيقية لانقاذ المجتمع من أزمات خلقتها الدولة. هذا رغم أنه لم تعلن أي جهة في داخل البلاد حتى الآن عزمها أو تبنيها فكرة مناجزة العائلة المالكة أو الدعوة الى إسقاطها، واذا كان هناك من يعمل على اسقاطها فهم جماعة العنف.

الآن وقد بلغت أوضاع البلاد ذروة الخطورة، هناك من يخشى، خشية مشروعة ومنطقية، من أن تدخل البلاد مرحلة إنفلات أمني حقيقي، قد تؤول ـ لا قدّر الله ـ الى حرب أهلية، وتتحول الدولة الى جزء من تلك الحرب. نقول ذلك لأن هناك مصادر عديدة أخبرتنا بأن كميات السلاح والمتفجرات التي تسرّبت الى داخل البلد كانت هائلة للغاية، وأن المكشوف منها يعد ضئيلاً جداً، وأن هذه الكميات قابلة للاستعمال ضد الدولة والمجتمع معاً، فحرب جماعات العنف مفتوحة مع كليهما، طالما ان مبررات هذه الحرب متكافئة، ففتاوى التكفير قد صدرت ضد الحكومة وشخصيات دينية وثقافية وسياسية عديدة في المجتمع، وأن ثمة تكليفاً عملياً في هذه الفتاوى يقضي بإستعمال السلاح إنفاذاً لأحكام الشريعة في قتل الكافر والمرتد والضال..

إن ما يبعث القلق الجاد هو أن العنف حين يستعمل في مجتمع تعددي لا يعدو أن يقبر تلقائياً وعلى نحو سريع أي إنتماءات وطنية وهويات جامعة، فسيعود الجميع الى التمسك الشديد والوحيد بالروابط التقليدية، التي ستتحول الى مصدر حماية نهائية لكل جماعة، وحينئذ لن تكون الدولة دولة بالمعنى الحقيقي بل ستصبح جزءا من جماعة، خاصة وأن هذه الدولة لم تكن في يوم ما ممثلاً مشتركاً وإطاراً وطنياً جامعاً للجماعات المنضوية بداخلها. وستكون

انهيار الوضع الأمني سيحيل الدولة الى مجرد جزء من جماعة وستنبعث نزعات الانفصال في المجتمع

نزعات الانفصال أول ما يظهر في ثقافة هذه الجماعات، وخصوصاً تلك التي خسرت بوجود الدولة كثيراً وأن إنفصالها يحررها من هيمنة الدولة ويمنحها القدرة على التعويض عن خسائر الانتماء لدولة غير وطنية.

تدرك الدولة كل ذلك، ولكن الإصرار على تجاهل حله الآن لا يغيّر من حقيقة أننا بتنا أمام وضع يوشك أن يتداعى ولا يفيد حينئذ الحديث عن إصلاح سياسي، فسيكون هذا الحديث في الوقت الضائع، لأن الدولة لن تكون حينئذ موجودة، بل سترتد في إدراك الجماعات الى موقعها الطبيعي، الاقليم والمذهب والعائلة، وسيتم التعامل معها كجزء من جماعة محددة ومناوئة.

الاستئناس بتصريحات الاستنكار من قبل زعماء القبائل والمناطق ووجهاء البلاد والتجار والمثقفين ضد مبدأ وحوادث العنف قد يحقق تعويضاً نفسياً فحسب للعائلة المالكة وقد يلبي جزءا من سياستها في تأكيد الولاء لها في أوقات الشدائد، ولكن العائلة المالكة تدرك تماماً بأن ذلك التعويض لا يرقى الى مستوى الاصطفاف الشعبي والمبايعة للدولة، فهذا الأسلوب يستعمل كعنصر في معادلة المصالح المتبادلة ليس الا. فاختبار التصريحات يتم حين لا تكون الدولة قادرة على ضمان مصالح وأمن من تستأنس بإستنكاراتهم المعلبة.

دولة تضييع الفرص

فرص عديدة كانت أمام الدولة للخروج من أزماتها المستفحلة، ولكن السياسة كانت واحدة وتتلخص في ترحيل المشاكل وتأجيل الحلول. ربما كانت هذه السياسة منقذة في فترات سابقة وأيضاً محتملة، في ظل أوضاع اقتصادية وسياسية وأمنية مستقرة نسبياً، الا أن التدهورات المتوالية في أوضاع البلد الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأمنية أدّت الى تقلّص حاد في فرص الحل، ولهذا السبب فإن خيارات المواجهة مع الدولة تطوّرت هي الأخرى من التناصح الى الالتحام العنيف مع الدولة.

مقولة شاعت ومازالت بين الناس بأن هذا البلد يمشي بالبركة، تعبيراً عن أن سيراً غير طبيعي يحكم حركة الدولة ولكن هو اللطف الالهي الذي يحول دون إنهيارها. ولكن هذه المقولة أخذت تفقد جزءا كبيراً من صدقيتها، فهذه البركة زالت او هي على وشك أن تزول تماماً منذ أن بدأت لغة العنف والشاحنات المفخخة وصواريخ سكود تسود، حتى بات الافراد يهجسون بأمنهم الشخصي قبل أمن البلد والدولة، فهذا الخطر المحدق بالجميع لا يترك مجالاً لأحد بأن يفكر في مصير الدولة، التي لم تبادل السكان شعوراً مماثلاً. وما يخشاه السكان الآن بعد زوال البركة أن تعم الفوضى في البلاد ويصبح الافتراس الداخلي حاكماً، ويصبح القتل واهراق الدم جزءا من مشهد الهلع القادم.

في ظل ضياع الكثير من فرص الحل يبقى أمام الدولة فرصة حل أخيرة، ممثلة في مشروع إنقاذ وطني لأن البلاد وهذا ليس سراً مقبلة على إنهيار خطير ونرجو أن يخرج من هذه العائلة من يحمل بجد وأمانة مسؤولية المشروع.

الاصلاحات الدستورية مسألة وقت: ولكن أي وقت؟

تصريحات تكاد تكون متطابقة صدرت في السابق وتصدر حالياً عن أرفع جهة في الدولة ونزولاً الى الأمراء السفراء في واشنطن ولندن، وكلهم متّفقون على أن هناك إجماعاً عاماً على موضوع الاصلاح السياسي وأنه قد بات خياراً استراتيجياً ونهائياً لا عودة عنه، ولكن..(وبئس من كلمة) المسألة لا تعدو كونها مرتبطة بالوقت المناسب من أجل وضع الأجندة الاصلاحية حيز التنفيذ.

ونلفت هنا الى أن مسألة الوقت هذه كانت دائماً حاضرة في خطابات المسؤولين وتصريحاتهم وبخاصة حين يتعلق الأمر بالاصلاح السياسي، فمنذ أن بدأ الحديث عن إصلاحات سياسية في الستينيات والمواطن يسمع عن مسألة الوقت هذه، وكأن ثمة وقتاً لا نعرفه يمر خارج دورتنا الزمنية والتاريخية الحالية، فقد تأجلت وعود، وتباطأت خطوات، وأجهضت إرادات بفعل عامل الوقت هذا، حتى غدا وكأنه المبرر الوحيد الذي يحول دون انفاذ الإرادة السامية. أو لعل المراد عكس ذلك تماماً، هو وقت لا حراك فيه ولا تحركات شعبية، ولا أزمات اقتصادية واجتماعية وسياسية، ولا اضطرابات أمنية، ولا انهيار في المداخيل، ولا زيادة في معدلات البطالة بوتائر مخيفة، ولا ارتفاع في مستوى الجريمة وحجمها، ولا فساد إداري، ولا ولا..فكل هذه مضادات للوقت المناسب للاصلاح بحسب مفهوم العائلة المالكة.

واذا كان كذلك، فلن يكون هناك إذن وقت مناسب للإصلاح، لأن وظيفة الإصلاح والغاية منه هو تصحيح الاعوجاج في كافة المجالات المذكورة، وليس الوقت هو الدليل على الاصلاح حتى ينتظر حلوله. ولأن نظرة العائلة المالكة للإصلاح قائمة على أساس التنازل جزئياً عن السلطة فحسب، دون رعاية للمكاسب الكبرى التي ستجنيها من وراء الاصلاح السياسي، كالاستقرار واختفاء مصادر التوتر، وبداية الدخول في مرحلة نهوض جديدة، وتماسك الدولة وحفظ السلطة ومركزيتها..ولذلك فإن الاصلاح سيبقى مخيفاً والقرار فيه يعني بالنسبة لهم كخروج الروح من الروح، ولذلك تخفي العائلة المالكة مبررها الحقيقي بتعليقه على الوقت لرفض مبدأ الاصلاح.

وبطبيعة الحال، فإن مفهوم الوقت تبدّل كثيراً في وعي السلطة، فالوقت في زمن الملك سعود يختلف عنه في زمن الملك فيصل والملك خالد والملك فهد، فكل وقت له معنى وهدف. فالوقت قديماً كان يفهم على أن البلد غير مؤهلة لمرحلة الاصلاح السياسي بالمعنى المشاع حينذاك، فقد كانت الحركة المطلبية داخل المملكة محصورة في نخب متقطعة الأوصال، مفصولة عن محيطها الاجتماعي، وهي أشبه ما تكون بجزر معزولة، ولذلك كان بالإمكان احتواء تأثيراتها وحتى تطويقها جزئياً أو كلياً. وقد مرّ الوقت، ونجحت العائلة المالكة بالفوز بهذا الوقت المستقطع في عملية

> **الاحتجاج بعامل الوقت يعكس خوف العائلة المالكة من المصير السياسي المجهول**

التجاذب الداخلي، بإخماد فورة النخب الوطنية والليبرالية التي ما لبثت أن تلاشت تدريجياً بفعل ضربات قاصمة سددها الملك فيصل لها.

وعاود الوقت يطرح كعامل أساسي في الاصلاح السياسي في زمن الملك فيصل، رغم أن النبرة الدينية المصعّدة كانت كفيلة بإفراغ المضامين السياسية للاصلاح، ولعل في هذا الزمن جرى استعمال مفرط للدين لمواجهة المطالب السياسية، فقد ظهرت خلال هذه الفترة تصريحات من قبيل (دستورنا القرآن) إحباطاً لمطلب وضع دستور ينص بدقة ووضوح على حقوق المواطنين وواجباتهم، وهكذا تحديد صلاحيات العائلة المالكة. فهذا الوقت قد جرى تغييبه تحت وطأة الاستعمالات المفرطة للغة الدينية التي لم تبق مضموناً سياسياً للوقت في أن يلعب دوراً سلبياً في العملية الاصلاحية، وتم التأكيد عوضاً عن ذلك على دينية الدولة، وأنها النموذج الفريد في الدنيا الذي لا يجب أن يستعير من غيره ـ وبخاصة دول الكفر والضلال في العالم ـ لأنها دولة العقيدة والسلف الصالح التي تطبق أحكام الشرع ولا تقبل بأن يملي عليها أحد رأيه. ورغم أن قوانين وضعية عديدة عبرت تحت الغطاء الديني للدولة الا أن تغييرات جوهرية في بنية السلطة لم تتم، بل على العكس تعززت شمولية الدولة واحتكارية السلطة من قبل الملك أولاً ثم باقي أفراد الاسرة المالكة.

في عهد الملك خالد والذي شهد في الثلث الأخير منه ظواهر إحتجاجية شعبية في المنطقتين الغربية والشرقية عادت الى وسائل الاعلام المحلية تصريحات رسمية محمّلة بوعود الاصلاح السياسي، وكان الوقت دائماً شرطاً نهائياً ووحيداً لتنفيذها، فتلك التصريحات كانت توحي بأن الأجندة الاصلاحية جاهزة للتنفيذ بانتظار الوقت المناسب. وما إن شعرت الدولة بالاطمئنان الى أن تلك الظواهر الاحتجاجية قد خمدت أو جرى تطويقها وتحييد آثارها التدميرية على السلطة حتى تناست الاجندة الاصلاحية والوقت معاً، ولم يبق سوى التعامل مع أسئلة الصحافيين الأجانب ووسائل الإعلام غير المحلية حول توقيت الاصلاح السياسي. فهناك برع المسؤولون الكبار في تصوير الدولة السعودية للإعلام الخارجي بلغة المنتصر الواثق، بأنها قامت على مبدأ الشورى وأن المواطن بخير ويتمتع بكافة حقوقه ويمارس حرياته بتمامها دون نقصان، وأن المؤسس هو الذي وضع لبنات الديمقراطية في هذا البلد، وحذا حذوه الخلف.

ومنذ احتلال قوات النظام العراقي البائد للكويت في الثاني من أغسطس ١٩٩٠ لحظ الجميع بأن أول قضية محلية برزت على السطح هو الاصلاح السياسي، فقد بات الجميع سلطة وشعباً يدرك بأن ليس هناك قضية مركزية تحكم علاقة الدولة بالمجتمع غير قضية الاصلاح السياسي، فقد عبّر

الطيف السياسي والاجتماعي والديني في المملكة وكل بطريقته عن هذه القضية، ولعل الدولة كانت تعلم سلفاً بأن هذه القضية ستكون أول ما يثار على الساحة المحلية بعد غزو الكويت، وقدوم القوات الأميركية بأعداد هائلة الى الاراضي السعودية. وحيال هذا الوضع، اشتغلت ماكينة التصريحات الرسمية بأقصى طاقتها، مؤكدة على تلك الاجندة الاصلاحية القديمة التي مازال التصميم منعقداً على إنفاذها بانتظار اللحظة المناسبة.

كافة التصريحات كانت توحي بأن الأجل الذي أجّله الملوك السابقون في موضوع الاصلاح السياسي سيستدرك بعد ثلاثين عاماً، فهذا الوقت بلاشك كان مختلفاً عن سابقه، فالحركة المطلبية الشعبية واسعة الى حد الزعم بأنها تمثل إجماعاً وطنياً على قضية لم يختلف عليها أحد من حيث المبدأ. وجاءت العرائض طبقاً للحظتها التاريخية، وتعبيراً صادقاً عنها، فقد حملت مطالب متوازنة وواضحة ودقيقة في مشروع الاصلاح، أضف الى ذلك أن الموقعين عليها كانوا شديدي الاخلاص للثوابت الوطنية والدينية وشديدي الاحتشام ايضاً تجاه مكانة العائلة المالكة. ولكن نقول وبصدق أن العائلة المالكة كانت دون مستوى ذلك، فهي لم تقدّر تلك القوى الوطنية والدينية حق قدرها ولم تضعها في موضع يتناسب واخلاصها الشديد، فقد جاء إعلان الانظمة الثلاثة في مارس ١٩٩٢ خارج الوقت المناسب واللحظة التاريخية المعاشة آنذاك، بل يكاد المرء ينحو بالقول الى حد إتهام من صاغوا الانظمة بالسخرية من عقول الناس والاستخفاف بمداركهم، والا فإن مقارنة عاجلة بين الاصلاحات المقترحة في عهد الملك سعود والتي صاغها الأمير طلال في كتابه (رسالة الى مواطن) تفوق في تقدّمها وصياغاتها القانونية والحقوقية بمرات عديدة مضامين الانظمة الثلاثة وكأن الوقت المزعوم يسير بنا القهقرى.

فهل عنى لهم الوقت شيئاً حين جعلوها شورى مفصولة عن المشورين، وهل عنى لهم الوقت شيئاً حين اختاروا من هو شديد الولاء للسلطة كي يكون عضواً في مجلس الشورى أو مجلس المناطق وإن لم يحظ بثقة الناس وتأييدهم، وهل عنى لهم الوقت شيئاً حين جاءت قائمة حقوق وإمتيازات الملك والعائلة المالكة أكبر بكثيراً جداً من قائمة حقوق المواطنين وحرياتهم، وكأن المدعي صار مدعى عليه، وكأن الضحية صار جلاداً.

الا نفهم من كل ذلك أن الوقت المقصود به هو الوقت الذي يعزز سلطان العائلة المالكة ويخفض حقوق المواطن، فهو وقت ليس مجرد من متعلقاته وأغراضه الخاصة، فالوقت هنا يعني وقتاً منحازاً لصالح العائلة المالكة تكون فيه قادرة على إدارة دفة الاصلاح السياسي، رغم أن هذا المعنى مخيفاً وكأن فيه رسالة إحباط إخرى لأن هذا الوقت سينجب جنيناً اصلاحياً مشوّهاً هكذا نفهم من هذا الوقت، لأنه لو كان الاصلاح جوهرياً وشاملاً لما كانت العائلة المالكة بحاجة الى وقت، فهكذا عودتنا السيرة الملكية في قضية الاصلاح على وجه التحديد.

منذ نحو عام تقريباً وقّعت ثلة من هذا البلد على وثيقة أطلقوا عليها إسم (رؤية لحاضر الوطن ومستقبله) وقد حظيت الوثيقة بتأييد شعبي واسع النطاق، حتى أمكن القول بأنها تمثل نموذجاً في الاصلاح السياسي، وقد إلتقى ولي العهد الامير عبد الله آنذاك بعدد من الموقّعين على الوثيقة، ووعدهم بان الاصلاح السياسي وشيك جداً وأن قراراً بهذا سيصدر في الوقت المناسب. إن التأكيد على الوقت المناسب يبعث رسالة إحباط من أن الاصلاحات السياسية ستكون ضئيلة المعنى، وها نحن نكمل السنة بكل أثقالها

التأكيد على الوقت المناسب يبعث رسالة إحباط من أن الاصلاحات السياسية ستكون ضئيلة

دون أن يحدث شيء، شهدنا معها مسلسل الانهيارات في الأوضاع الاقتصادية والأمنية والسياسية ومازال الوقت ملكاً يحكمنا.

المثير للغرابة أن كلمة الوقت أصبحت جزءا من لغة التعامل اليومي بين السلطة والناس، فكلما أرادت السلطة تخدير دعاة الاصلاح غرزت في أذهانهم إبرة الوقت، بمضمون مفاده أن قرار الاصلاح جاهز ولكن الوقت لم يحن. ويتذكر البعض كيف أن الذكاء المفتعل يفعل فعلته المشؤومة، حين يسبق الأمير ـ المسؤول زوّاره للقول بأن ثمة قرارات للتو قد صدرت وأنها في طريقها الى التنفيذ الا أن هذا الفعل حال بينها وذاك الحدث أعاقها، ويزيد في الذكاء حين يلقي باللوم على زائريه لأنهم لم يساعدوا الحكومة في تنفيذ ما فيه مصلحتهم ورغبتهم.

اليوم، كل من يزور مجالس الأمراء يجابهونه بكلمة (الوقت المناسب) فهذه الكلمة المحببة للنفس باتت المهرب الوحيد من السؤال عن مصير الاصلاح السياسي في المملكة، فالكل في انتظار الوقت الذي لا يعلم أحد الا الله سبحانه وتعالى متى يحل.

الا أن الجديد في الأمر هذه المرة، أن الوقت لا يقصد به عدم أهلية السكان للإصلاح، ولا أن الدولة دينية وتطبّق تعاليم الاسلام وأحكام الشريعة، ولا لأن الإصلاح السياسي يجب أن يبدأ خطوة خطوة على طريقة السلحفاه، بل الوقت هذه المرة يعني إن ثمة انسداداً في أفق السلطة نفسها ولا تعرف كيفية الخروج من مآزق الأوقات الفائتة. بمعنى أن ثمة خوفاً حقيقياً من أن يأتي الاصلاح السياسي بزوال الدولة نفسها، وهذا ما تخشى العائلة المالكة منه، فالوقت هنا يعني بكلمة صريحة الخوف من المجهول، أو الخوف من المصير، فقد تفاقمت الأوضاع الى حد لم يعد الترقيع منقذاً للثوب. فقد بات الوضع الآن حسب تعبير الزميلة (شؤون سعودية) جاهزاً للتغيير ولكنه في ذات الوقت ناضجٌ للتفجير والانفلات، وهذا ما يقلق.

فثمة أخطار جديّة تحيق بالدولة نفسها بدءا من التقسيم والتدخل الاجنبي والحرب الأهلية وانتهاءً بالعنف الدموي وهذه، لا تترك مجالاً للسلطة كيما تتوسل بإصلاحات هامشية وجزئية، فالإصلاح إما أن يكون جوهرياً وشاملاً والا فإن المخاطر ستظل قائمة بل هي مرشحة للتفاقم.

فلأول مرة يفقد الوقت مفعوله السياسي، فالحكومة تستعمله في وقت ضائع وتدرك بأن لا سبيل الى اللجوء إليه الآن، فالزمام يوشك أن ينفلت، ولابد من تسوية عاجلة للصراع على السلطة من أجل الانتقال الى مرحلة الاصلاح السياسي بدون هواجس. يلزم القول هنا، بأن الصراع المحتدم داخل العائلة المالكة على الحصص يجعل الارادة السياسية العليا هزيلة في موضوع الاصلاح السياسي، فقد كثر المتصارعون والطامحون والطامعون داخل العائلة المالكة، فالأمراء الكبار يريدون ضمان حصصهم وحصص أبنائهم في السلطة قبل أن يتم التفكير في الانتقال الى الديمقراطية، رغم أن هذه المحاصصة ستخضع على أية حال للفحص والمساءلة الشعبية، وأن مقتضى الاصلاح السياسي هو نقل جزء كبير من السلطة الى الناس، والا فإن لا شيء تغير إذن.

فاجعة (الحائر) تفتح ملف السجون السعودية

من المسؤول؟

(مشروع تأهيل النزلاء) هكذا وُصفت إحدى برامج التدريب والتهذيب المعدّة من قبل وزارة الداخلية في إطار ما تصفه زعماً ببرامج التأهيل المهني والتشغيل الداخلي للسجناء، والتي تعتمد بشكل أساسي ـ حسب زعم الوزارة ـ على عودة السجين إلى الله. ولكن هذا المشروع قد أهل هذه المرة مجموعة من أبناء هذا الوطن لعالم آخر، فقد إلتهمت النيران أجساد ٦٧ روحاً و٢٠ جسداً معاقاً بحسب الاحصاءات الرسمية، في كارثة إنسانية مفجعة تشهدها السجون السعودية. فقصة الحريق بحسب الرواية الرسمية لم تتضح بعد، ولكن ما نقله التلفزيون السعودي من صور كان وحده دليلاً كافياً على أن حريقاً بل حرائق متوقعة في هذا السجن الذي تنعدم فيه أبسط شروط السلامة.

المثير للدهشة أن قصة الحريق ليست فقط لم يتم نقلها بالكامل في وسائل الاعلام الرسمية، بل جرى التكتيم عليها وإسدال الستار عليها بسرعة. فكارثة كهذه ستحظى في بلدان أخرى تحترم رعاياها وشعوبها وقانونها بإهتمام واسع النطاق وستخصص وسائل الاعلام المحلية جزءا كبيراً من تغطيتها الاخبارية لحادثة بهذا الحجم حتى الكشف عن أسباب الكارثة والمسؤولين عن وقوعها. ولكن في بلادنا الأمر يختلف كثيراً، وسيختلف أكثر حين يتعلق الأمر بوزارة الداخلية صاحبة الذراع الأطول في شؤون هذا البلد. فما جرى في سجن الحائر كارثة إنسانية بكافة المعايير، وليس هناك جهة أخرى يمكن توجيه اللوم لها سوى وزارة الداخلية بدرجة أساسية قبل الحديث عن جهات أخرى. فإنعدام وسائل السلامة، والطريق المعبدة الموصلة للسجن، ونقص أجهزة الاطفاء، وأي مبررات أخرى هي ليست مسؤولية جهات أخرى بل وحدها وزارة الداخلية المسؤولة عن كل ذلك.

السجون كوسيلة موت

ثمة شعارات طموحة ظلت تتردد في وسائل الاعلام المحلية، من قبيل أن السجن وسيلة إصلاح، وليس مجرد وسيلة للعقاب وأن السجن إصلاح وتأهيل، يعاد بداخله تأهيل السجناء كيما يعودوا إلى مجتمعهم مؤهلين للانضواء بفاعلية وإيجابية فيه..شعارات ثبت في هذا الحادث وحوادث عديدة سابقة بأنها جوفاء، فقد ظلت هذه الشعارات في حدود الدعاية واذا ما أحسنا الظن فهي تندرج في قائمة التطلعات الطموحة، فهذه الشعارات أصبحت جزءا من حريق الحائر، فقد تحوّل السجن الى وسيلة موت وحرق جماعي. أوضاع السجن كما نقلتها الصور التلفزيونية المحلية تمثل صدمة نفسية مرعبة، فصور الأقفاص المتراصّة والمظلمة سوى من ضوء كاميرا التلفزيون والبيئة الخانقة التي في هذا السجن، ومساحة الزنزنات الضيقة والأسرّة المتراكمة فوق بعضها لا تعكس أي مصداقية لتلك الشعارات. فمشاهد الأقفاص تلك لا تصلح كبيئة عيش ومكان للحيوانات فكيف بها لأناس في مقتبل أعمارهم، فأي بيئة اصلاحية هذه التي يمكن أن تنمي موهبة، ومؤهلاً، ومهارة في أناس يتكدّسون بداخل صناديق مظلمة، ولا يرون منها شمساً ولا يستنشقون فيها هواءً نقياً، ولا يرون عبرها نافذة أمل جديد لحياة أخرى، فهذه الاقفاص مصممة لخنق تطلعهم، وطموحهم، وصلاحهم أيضاً.

فهل يكفي في ظل أوضاع مزرية كتلك التي يعيشها النزلاء في هذه الأقفاص أن تنظم محاضرات دينية حتى يخرج هؤلاء من بطون الاقفاص صالحين عاملين، فلربما يكون مكان إنعقاد المحاضرات الفرصة الوحيدة للسجناء كيما يطبقوا جفونهم، ويريحوا أبدانهم، فهم يدركون بأن بعد نهاية المحاضرة سيعودون أدراجهم الى الأقفاص المظلمة والموحشة. وماذا يمكن لبرامج اصلاحية وتربوية ومهنية أن تقوم به اذا كان النزلاء يعاملون وكأنهم ليسوا من الجنس البشري، أو أنهم ينظر اليهم كأناس غير أسوياء تكويناً، فلو كان غير ذلك لما جرى حشدهم في ما يشبه أقبية مظلمة تحت الأرض.

فاجعة الحائر ليست منفصلة عن مأساة السجون السعودية التي ربما لم تسلط الأضواء عليها لقلة المعلومات حولها، ولتحفظ وحذر من ذاقوا العذاب بداخلها وخشية أن ينكتوا جراحاً لم تندمل بعد، فهم إن ينقلوا ما جرى لهم فهم ينقلوا ذكرياتهم المصبوغة بالدم، وتبقى قضية التعذيب في السجون السعودية أم القضايا، وهي الشاهد الأول على أوضاع حقوق الانسان في هذا البلد.

قصة التعذيب في السجون السعودية

فرق التعذيب المؤلفة من ضباط كبار من الرتب العليا (رائد ولواء) وبعضهم ممن يعمل في مكتب وزير الداخلية، تنتمي الى فئة فريدة من المرضى النفسيين الذين يحققون رغبة جامحة بداخلهم بالتلذذ بتعذيب السجناء واستعمال أبشع ألوان التعذيب النفسي والجسدي ضد السجناء، الى حد النيل من الاعراض. بعضهم روى بأن رائداً في سجون المنطقة الغربية كان يأمر بتعرية السجناء من ملابسهم قبل بدء التحقيق معهم، هكذا من أجل إشباع غريزة خاصة.

فرحلة عذاب السجين تبدأ من لحظة اعتقاله، فهناك طريقة مألوفة في الاعتقال، تبدأ بزوّار الفجر أو خفافيش الليل كما يوصفون الذين يقدمون بسيارات الجيب مدججين بأسلحة وعصي

(عجرات) فلا ينتظروا فتح الباب وحصول الإذن من صاحب المنزل، بل يكسروا الباب على من فيه من نساء وأطفال، ثم ينتشرون داخل البيت، فيعبثون بمحتويات الغرف يقلبوها رأساً على عقب، ويفزعون النائمين بأساليب قمعية فيوقضونهم بالعصي أو الأحذية، وبعد الانتهاء يسوقون المطلوب من مسكنه مقيّداً أمام أطفاله وأهله ويرحلون به الى المجهول، حيث لا معلومات تقدّم لأهل المعتقل عن أسباب الاعتقال، ومكان المعتقل، وكيفية التواصل معه، وما هي الحقوق المقررة له قانونياً..فكل شيء يتم بصورة غامضة حتى النهاية.

فور وصول المطلوب الى المعتقل يتم خلع وتجريد متعلقاته كالملابس والنقود والساعة، وينقل بعدئذ الى زنزانة صغيرة لا تتجاوز مساحتها متر في نصف متر، حيث يقضي المعتقل فترة طويلة تصل في المتوسط الى ثلاثة شهور وقد تطول لسنوات. يقول أحدهم بقيت في المعتقل لمدة سنتين ولم يسمح لي بأن أرى الشمس فقد دخلت الى السجن من بوابة صغيرة وخرجت منه من نفس البوابة، وبقيت خاضعاً للتحقيق اليومي وفي أوقات متفاوتة طيلة هذه المدة.

يتعرض المعتقلون خلال فترة التحقيق الى ما يطلق عليه في الثقافة الشعبية وجبات تعذيب ساخنة، ويتم خلالها استعمال كابلات الكهرباء، والمروحة الكهربائية، وسكب الماء المغلي والبارد في آن واحد، إضافة الى الحرق والرفس بالحذاء والتسهير لساعات وأيام عديدة، ففرق التعذيب تتقن صنوفاً مختلفة من التعذيب لا يمكن الاحاطة بتفاصيلها، فكل معتقل في السجون السعودية يحمل قصة معاناة فريدة لا تشابه الاخرى.

يقول أحد من خضع للتحقيق أنني ريثما دخلت لمكتب الرائد (أ.ن) سألني سؤالاً واحداً ما هي علاقتك بالحادث فنفيت صلتي به (فانهالت علي الركلات واللكمات, ولم يبق موقع في جسدي إلا ناله نصيب من الأذى حتى تمزقت ملابسي علي. كل هذا ويداي لاتزالان مقيدتان.. تعرّى نصف جسدي فتفتّحت شهيتهم على لسع بدني بالسياط وأدوات ضرب لم أعرف ما هي. وطوال ساعات من الضرب, ظلّوا يلحّون على بنفس السؤال.. وأنا لا أملك إلا الإنكار. أصبت بالإغماء من شدة ما لاقيت, وكلما حدث ذلك ألقوا علي الماء لأصحو من جديد. لم تعد رجلاي تحملاني, فكنت أسقط على الأرض, ولولا أنهم كلّوا وملّوا لأجهزوا علي من يومهم ذاك. أمروا بحملي إلى الزنزانة, وهناك ألقى بي رجلان من الحراس, فمكثت كالجثة هامداً لا أقوى على الحركة).

هذه القصة تتكرر في كافة سجون وزارة الداخلية ولكن بتفاصيل مختلفة وإضافية، فبعضهم يتحدث عن تهديد بالاعتداء الجنسي، وبعض آخر يتحدث عن شتم أهله والنيل القذر من عرضه، وبعض ثالث يتحدث عن سب الخالق أمامه، وبعض رابع يتحدث عن وجبات تعذيب جماعية لمعتقلين قد عرّوا من ملابسهم، وبعض خامس يتحدث عن تهديدات جديّة بإحضار المحارم أمام المعتقل والاعتداء عليهم أمامه..وسادس وسابع أحاديث ينقلها من ذاقوا كافة ألوان القمع والبطش على أيدي فرق التعذيب في السجون السعودية. لم يقدر لهؤلاء أن يكتبوا مذكراتهم بالدم المتدفق بفعل سياط فرق تعذيب لا تعرف معنى الرحمة والقيم الانسانية، فهم قد تدربوا على القسوة وأجهزة التعذيب في دورات خاصة.

المنظمات الحقوقية: تقارير لم تستكمل بعد

دعوة الحكومة السعودية لعدد من منظمات حقوق الانسان مثل منظمة العفو الدولية وهيئة رقابة الشرق الأوسط وغيرهما لزيارة السجون السعودية في الآونة الأخيرة جاءت تحت تأثير ضغوط متوالية بعد مقابلات صحافية مع عدد من السجناء الأجانب البريطانيين والكنديين والاستراليين بخاصة المفرج عنهم ضمن تسويات سياسية محضة، وقد كشفوا بعد عودتهم لبلدانهم جانباً من انتهاكات لحقوقهم كسجناء كان يجب أن يتمتعوا بها كما في بلدانهم. وقد سعت الحكومة السعودية الى تحسين صورتها الحقوقية، وأعلنت عن رغبتها في تحسين ظروف السجون السعودية، فقبل زيارة وفد منظمة العفو الدولية ومنظمات حقوقية أخرى في شهر ديسمبر عام ٢٠٠١ أعلن مدير السجون السعودية اللواء علي الحارثي بأن هناك إصلاحات ستشهدها السجون في بلاده وسيتم استبدال عقوبة الحبس بفرض الغرامات، والسماح للسجناء بالخروج من السجن خلال ساعات النهار والعودة اليه في المساء بعد إكمال أعمالهم. وزعم الحارثي مدير السجون السعودية بأنه : (ليس لدينا ما نخفيه أو نخشاه، وسوف ترى المنظمة أن حقيقة سجوننا ومعاملتنا للسجناء مختلفة عما يشاع عنها). وفي سياق تلك الاصلاحات أيضاً أعلن الحارثي بأنه ورغبة في تخفيف مشكلة إزدحام السجون سوف يتم الأخذ ببدائل للسجون مثل الخدمة الاجبارية للمجتمع والغرامات.

ولكن بعد فترة وجيزة تبين أن تلك التصريحات لم تكن أكثر من ذر الرماد في العيون، فهي عديمة الجدوى وليست ذات مصداقية حقيقية، فقد ظهر أن عدداً كبيراً ممن إنتهت مدد إعتقالهم بقوا داخل السجون فترات إضافية، وأن الزعم بتحسين أوضاع السجناء ورعاية أحوالهم الصحية والاجتماعية والنفسية جاء مفضوحاً ومخزياً في حريق الحائر. فهؤلاء الضحايا قضوا نحبهم في ظل أحوال صحية واجتماعية ونفسية كارثية، بعد أن أحاطت النيران بهم قبل أن يخرجوا من أقفاصهم، فضلاً عن التفكير في الهروب من مخارج طوارىء هي في الأصل غير موجودة، بل تركوا للنيران كي تشوي لحومهم، وتحيلهم الى جثث متفحمة، ولم يكن بإمكان حرّاس السجن عمل ما يجب من أجل إنقاذهم لأن الطريق الى الاقفاص كان يستعر ناراً، ولم تجد سيارات إطفاء الحريق طريقاً معبدة الى السجن مما تسبب في تأخر وصولها الى مكان الحادث، فتولت سيارات الاسعاف مهمة نقل الضحايا الى مستشفيات قريبة بعد أن أصبحوا جثثاً سوداء يصعب التعرف على ملامح أصحابها.

قبل أن ينجو الكبار ويسقط الصغار

السؤال المركزي: هل حقق أحد في الأوضاع الانسانية للسجون السعودية؟، ولماذا في الأصل تحوّلت وزارة الداخلية بكل متعلقاتها والمؤسسات المرتبطة بها الى صندوق مغلق بإحكام، فهذه الكارثة الانسانية كفيلة بأن تطيح بحكومة كاملة وليس بوزير الداخلية فحسب. نخشى أن تمر الحادثة دون عقاب وليس تحقيق ونشر التفاصيل التي من المؤكد بانها ستأتي بما لا يترك مجالاً للإدانة، وفي أحسن الافتراضات فسيتحملها الصغار وسينجو

منها الكبار.

من الطبيعي في غياب جهات تحقيق مسؤولة ودولة القانون أن تقذف التهم ضد الصغار، فينالهم العقاب بتهمة التقصير عن أداء الواجب، وتنفيذ المهام على وجه أكمل، فيما ينجو الكبار، المتسببون الحقيقيون في هذه الكارثة الانسانية. فما دخل الصغار في بناء الأقفاص، وفي الأوضاع الصحية والنفسية الكارثية وفي بناء سجون بهذه الطريقة التي لا تصلح حتى للحيوانات البرية. في حقيقة الأمر، إن المسؤولية تتحملها وزارة الداخلية، كما أن وزير الداخلية شخصياً هو مسؤول مسؤولية مباشرة عما جرى ويجري وسيجري، فكيف يكون وزيراً وهو لا يعلم ما يدور في سجون تديرها وزارته، وهل بناء السجون يتم بدون قرار وإدارة الوزارة، فهل يعقل بأنه لم يطّلع على أوضاع السجن وظروف السجناء؟.

ندرك وقبل صدور نتائج التحقيقات في الحادث بأن الضحايا هم صغار الضباط والحراس الذين لا حول لهم ولا طول، وأن المسؤولية ستسجّل ضد حطب الافران، ممن يتحوّلون الى دروع بشرية للكبار في الكوارث، لصالح وزير الداخلية والترويكة المتواطئة معه، ولكن كلمة يجب أن تقال للتاريخ بأن أجساد الضحايا شاهدة على أن ما جرى عليهم لا يعدو كونه جريمة شنيعة يجب أن تفتح ملف السجون السعودية، فهناك من الكوارث المنتظرة الشيء الكثير، فكثير من الضحايا يسلّمون الى ذويهم بدون علم الناس، ويدفن بعضهم ليلاً حتى لا يفتضح أمر وزارة الداخلية، وهناك عوائل تشرّدت وتفككت بسبب إعتقالات عشوائية، وقرارات فصل من الوظائف صادرة عن وزارة الداخلية ضد سجناء لم تثبت إدانتهم.

أما دور هيئة الادعاء والتحقيق المسؤولة عن مراقبة السجون، فبالرغم من أن هناك أحاديث كثيرة عن دور فاعل لهذه الهيئة في مراقبة أوضاع السجون والسجناء في السعودية، ولكن حتى الآن لم يتبين بأن هذه الهيئة تتمتع بسلطة حقيقية، فإصلاحية بهذا الوضع المزري يكفي لمعرفة أوضاع باقي السجون والمعتقلات وتحديداً السياسية منها والتابعة لجهاز المباحث. لم يكن المراقب والمشاهد لصور الحريق داخل سجن الحائر بحاجة الى وقفة طويلة كيما يشكّل صورة عامة عن أوضاع السجون السعودية، فهذه الاصلاحية تمثل دليلاً صارخاً ومفزعاً على أوضاع لاإنسانية تتحمل مسؤوليتها جهات عديدة وأجهزة حكومية مختلفة، ولاشك أن هيئة الادعاء والتحقيق تتحمل جزءا من هذه المسؤولية الجسيمة. وقد حان الوقت كيما تعلن هيئة الادعاء والتحقيق عن ملابسات ما جرى وعن الدور الحقيقي الذي تلعبه في قضية مراقبة السجون، ذاك إن كان لها دور في الأساس.

لقد آن الآوان أن يفتح هذا الصندوق المليء بأحزان وآلام الأبرياء وأن يطّلع عليه سكان هذا البلد، وأن يكشف ما بداخله من قصص الانتهاكات الخرقاء لحقوق الانسان، وأن ينادي الجميع من أجل السماح لمنظمات حقوقية أهلية للدخول كمراقبين محايدين على أوضاع السجون والسجناء، وأن يخضع النظام القضائي لاصلاحات جوهرية تتكفل بتوفير ضمانات قانونية وحقوقية للمتظلمين وأن يخضع السجناء لمحاكمات علنية وعادلة، ورفض أية إعترافات منتزعة تحت التعذيب. فكثير من المحاكمات السرية جرت وتجري الآن داخل المعتقلات وهي سمة من السمات المعتادة لنظام القضاء السعودي حسب تقرير منظمة مراقبة الشرق في أبريل عام ٢٠٠٢. وحسب هاني مجلي، المدير التنفيذي لقسم الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بمنظمة (مراقبة حقوق الإنسان) (هناك خلل فادح في نظام القضاء السعودي، ففي أي نظام قضائي يتسم بالعدل والشفافية لا يصح أن يكون إجراء المحاكمات أو إصدار الأحكام على المتهمين سراً من الأسرار). فكثير من أحكام الاعدام والحبس لمدد طويلة كانت تتم داخل السجون في ظل محاكمات سرية يرأسها قضاة تابعون لوزارة الداخلية.

حقوق السجناء

رغم أن تعداداً حقيقياً للسجناء في السجون السعودية يمكن التعويل عليه ليس متوفراً، فالاحصائيات الرسمية الصادرة في نهاية عام ٢٠٠١ تذكر بأن هناك حوالي ٣٠ ألف سجين في كافة السجون السعودية، وهو بالتأكيد رقم يدنو كثيراً عن الحقيقة، فهناك من المعتقلين السياسيين أعداد كبيرة تفوق هذا الرقم بأضعاف ولكن لم تدرج ضمن مسمى السجين، فكما هو معروف فإن السجون الجنائية غير السجون الأمنية في السعودية، وأن السنوات الأخيرة وبخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر شهدت حملة اعتقالات واسعة في صفوف من يصنّفون ضمن قائمة الجماعات الارهابية وتنظيم القاعدة، وقد شملت هذه الحملة عدداً كبيراً من الافراد ممن لا صلة لهم بهذه الجماعة ولكن لمجرد الشبهة والظنة، ويقضون فترات طويلة في المعتقلات دونما سبب واضح لإعتقالهم، ويخضعون للتحقيق والتعذيب من إجلاء انتزاع معلومات تعتقد الجهات الأمنية بأن السجناء يخفونها. ويبدو أن هناك قراراً بعدم الكشف عن العدد الحقيقي للسجناء في السعودية، ففي تصريح سابق لمدير السجون السعودية اللواء على الحارثي بأن عدد السجناء في السعودية يتراوح ما بين خمسة عشر وعشرين ألف سجيناً، وكان ذلك مثيراً للسخرية فهو يتحدث عن هامش يصل الى خمسة وعشرين بالمئة وهذا يكشف بوضوح أن ثمة إرادة بعدم الكشف عن العدد الحقيقي، ولذلك يتم إعطاء أرقاماً غير صحيحة، وفي الواقع قليلة حتى لا يترك مجالاً أول الأمر للتدقيق والمساءلة، واذا تبين الخطأ فيما بعد فهو لا يعد كونه تقديراً، ومع ذلك يبقى السؤال قائماً كيف يصح عدم علم مدير السجون في السعودية بالعدد الاجمالي والدقيق للسجناء، فلو كان الأمر متعلقاً بأحد مسؤولي السجن لكان الأمر مقبولاً ولكن حين يتعلق بمدير كافة السجون السعودية فهذا يمثل خطيئة تضاف الى باقي الخطايا التي ترتكبها وزارة الداخلية في حق من تأتمن على حياتهم وتتحمل مسؤولية ما يجري عليهم.

يحرم السجناء في السعودية من حقوق كثيرة، تبدأ من حقهم في التمتع بمعاملة إنسانية داخل المعتقلات، وفي الاتصال بذويهم ومحاميهم، وفي حقهم بالتمتع بمحاكمة عادلة أمام قضاة مستقلين، وفي حقهم في الاستئناف..حقوق وإن زعمت الحكومة السعودية بالالتزام بها والتوقيع عليها كجزء من التزامها بالمعاهدات الدولية، الا أن ما يجري داخل سجونها يتناقض تماماً مع كافة النصوص والمواثيق الدولية الخاصة بحقوق الانسان والقسم الخاص بمعاملة السجناء.

شخصنة الدولة في ظل التحديات الراهنة

من أجل معرفة كيف يمكن تقديم تقييم صحيح لأداء الدولة لابد حينئذ أن نعرف ماهي الآليات التي تملكها في تسيير سياساتها، كما أن فهم مصادر قوة الدولة يعني معرفة كيف يمكن لها إدارة التحديات التي تواجهها. أهمية هذا التقييم تكمن في الكشف عن طريقة تعاطي الدولة مع الشأن العام، وفي الحلول التي يمكن لها أن ترسم من قبل الطبقة الحاكمة.

في الدول المتقدمة المحكومة بسلطة القانون، هناك آليات واضحة ومنظّمة لتسيير السياسات العامة للدولة ولصناعة القرار، ومن خلال تلك الآليات التنظيمية يتم تنفيذ القانون، وتحقيق الأهداف المرسومة من سياسات الدولة، كما يتم أيضاً رفد الدولة بما يعترض تنفيذ القانون من عقبات اجتماعية وقانونية لم تستدرك لدى المشرّعين القانونيين. وبخاصة حين يتعلق الأمر بالحقوق العامة مالية كانت أو إجتماعية، إذ يتطلب إقرارالقوانين والعمل بها إخضاعها لمداولات مستفيضة بين المجتمع عبر ممثليه والحكومة، قبل أن يتم التوصل الى إتفاق بشأنها ومن ثم إقرارها.

من جهة أخرى، إن إمتلاك الدولة لسلطة تطبيق القانون يعني أنها متوافرة على منظومة آليات ممتدة قادرة على وضع هذا القانون حيز التنفيذ. فمن علامات ضعف الدولة وانحسار ظلها أن القانون يفقد قيمته وقوته ولا يعد هناك من ينظر اليه كجزء من إلتزام متبادل بين الناس والحكومة. فالالتزام بالقوانين هو تعبير عن قوامية الدولة على الرعية.

في بلادنا، وبفعل المركزية الشديدة أصبحت الآليات التي تسيّر شؤون الدولة مشخصنة إذ لم يعد هناك دور فاعل للمؤسسات والأجهزة الحكومية، فهي مرتبطة بدرجة أساسية بأشخاص هم كبار الأمراء النافذين، الذي يمارسون أدواراً متعددة، فهم يرسمون سياسات الدولة الخارجية والداخلية والمالية والدفاعية والاعلامية، فالوزارات المختصة بهذه السياسات تخضع الى أشخاص من خارجها في أحيان كثيرة، فوزير الداخلية قد يمارس دور وزير الاعلام ولا يملك الأخير سوى التسليم والقبول رغم أن كليهما حائزان على مرتبة متساوية من حيث كونهما وزراء، وعضوين في مجلس الوزراء، ولكن في حقيقة الأمر أن وزير الداخلية يتمتع بسلطة وصلاحيات تمتد الى وزارات عديدة، الاعلام والحج والأوقاف والعمل والتعليم وغيرها، وهكذا الحال بالنسبة لأمراء كبار آخرين مثل سلطان وسلمان.. فالدولة في هذه الحالة لا تخضع تحت سلطة القانون ولا تسيّر سياساتها وفق آليات واضحة ومحددة، فهذه الآليات تظل غير فاعلة بسبب الشخصنة الطاغية.

من جهة ثانية، إن افتقار الدولة الى مصادر قوة حقيقية أو تحلل هذه المصادر في ادارة التحديات الراهنة والمستقبلية يفتح الطريق أمام مصادر قوة أخرى من خارج الدولة للانتعاش. فالدولة كانت تملك قبل عقدين إقتصاداً متيناً، وقوات أمن رادعة، وبرامج تنموية نشطة، وعلاقات استراتيجية على المستوى الدولي، ولديها المكانة المتميزة في العالم الاسلامي، ولكن هذه المصادر تآكلت على مدى العقدين الماضيين، فلا هي قادرة على معالجة الدين الداخلي المتراكم والذي يصل الآن الى نحو ٢٠٠ مليار دولار، ولا هي قادرة على معالجة مشكلة البطالة التي تجاوزت معدلات مخيفة، وقد قدّر بعضهم نسبة البطالة بنحو ٣٧ بالمئة، ولا هي تملك الآن قدرة على ضبط الأمن والاستقرار في الداخل، فمعدلات الجريمة بأشكالها المختلفة تزداد بوتائر متسارعة، ودخل عنصر العنف المنظم ليهدد الدولة والمجتمع بحرب أهلية دامية، فيما توقفت برامج التنمية بصورة شبه كاملة، وانهارت شبكة التحالفات الاستراتيجية مع الخارج، وفقدت الدولة السعودية تلك المكانة التي كانت تتمتع بها في السابق بين الدول، فالنظرة اليها الآن بوصفها بؤرة إرهابية.

فمصادر القوة تلك أصبحت غير متوفرة الآن، وهذا مؤشر خطير على أن الدولة تواجه تحديات جدّية في الداخل والخارج، إذ ليس بالإمكان الاحتفاظ بوضع لم تعد الدولة تملك شروط البقاء فيه. ولهذا السبب تواجه الدولة أزمة أخرى تكمن في آليات الحل، فالشخصنة التي حكمت سياسة الدولة طيلة العقود السابقة أفضت الى إضعاف دور مؤسسات وأجهزة الدولة، بما في ذلك المؤسسات الناشئة حديثاً كمجلسي الشورى والمناطق، بحيث لم تعد هذه المؤسسات مؤهلة للعب دور فاعل وحقيقي في مجابهة التحديات، فكثير من هذه المؤسسات تضم نخبة ممتازة من الكفاءات العلمية وربما المتخصصة ولكنها مسلوبة الفعل والارادة.

الاسترسال في شخصنة الدولة سيؤدي بطبيعة الحال الى اضمحلال دور المؤسسات، وسيفقد الطبقة الحاكمة الغلاف الحامي، إذ أن من شأن تلك التحديات تدمير كل السواتر التي تحيط بمركز السلطة، وحينئذ سينسحب من هم داخل الدولة الى خارجها إبراءً لذممهم أمام الرعية، ففي الهزيمة يكثر المتنصلون من المسؤولية، ويتركون من تسببوا في وقوعها بمفردهم.

البلد الآن على شفا مرحلة خطيرة للغاية، ولا نقول ذلك تشفياً ولا تقوّلاً، وكل يوم يمرّ على البلد يأكل من رصيد المستقبل، ويهدد فرص الحل المتاحة، فالحال لم يعد خافياً على الناس والسلطة معاً، فتجسيدات الأزمة الشاملة باتت شديدة الوضوح، صوتاً وصورة، وأن طريق الحل بات هو الآخر واضحاً بنفس القدر، فإنتظار اللحظة المناسبة التي لن تأتي يعني انتظار المستحيل.

ما لم يتم الفصل بين الدولة والشخصنة المفروضة عليها، وتنشيط الآليات القائمة من وزارات ومؤسسات حكومية وغير حكومية ومراكز أبحاث ومجالس بلدية وغرف تجارية وغيرها للاضطلاع بدورها التام في التعامل مع المشكلات الراهنة بحسب تخصصاتها، فإن النتيجة النهائية ستكون انفصال الطبقة الحاكمة عن السلطة. فتآكل الثقة في الدولة من قبل الناس، بما في ذلك القريبين منها يشير الى تلك النتيجة، فتلك القرابة القريبة كانت قائمة على تبادل مصالح وهذه لم تعد قائمة، فالجشع الذي تولّده شحة المصادر المالية قد انتقل الى الدائرة الضيقة، أي الى داخل العائلة المالكة التي يتنافس أفرادها الآن على الجزء المتبقي من ثروة البلاد.

قضيّة

على ضوء زيارة ولي العهد السعودي الى موسكو

قبلة الموت الروسيّة قد تنهي الحكم السعودي

العودة السعودية لموسكو بعد ٦٥ عاماً من قطع العلاقات بين البلدين عام ١٩٣٨، يكاد يكرّر التجربة التي بدأها أشراف الحجاز في العشرينيات الميلادية من القرن الماضي. لقد دار الزمن دورته منذ أُطيح بحكم الأشراف الهاشميين بين عامي ١٩٢٤ـ١٩٢٦ بتواطؤ بريطاني، حاول الشريف حسين أن يتفاداه بإيجاد علاقات متوازنة مع القوى العظمى آنئذٍ، ولكن محاولته المتأخّرة عجّلت بنهاية حكمه، مثلما قد تكون المبادرة السعودية الأخيرة بتأسيس تحالف ـ ولو أوّلي ـ مع موسكو، قبلة الموت التي قد تحفز الأميركيين والغربيين للتخلص من الحكم السعودي الذي جاؤوا به بديلاً عن الحكم الهاشمي!

لم يكن العداء السعودي للسوفيات، أو للشيوعية، مبنيّاً على تأسيس ديني ومواجهة الإلحاد!، ولو كان الأمر كذلك لما أقام الأمراء السعوديون علاقات مع السوفيات دبلوماسية واقتصادية امتدت لثلاثة عشر عاماً، بين تاريخ سقوط جدة مطلع يناير عام ١٩٢٦ وانتهت بعام ١٩٣٨. لقد ورث السعوديون كل الجهاز الدبلوماسي الحجازي، فحتى سقوط الحجاز بيد النجديين، لم يقم السعوديون علاقات إلا مع (الإنجليز) وبدون سفارة أو حتى ممثل يقيم في عاصمة الوهابيين، بعد تجربة مقتل الكابتن شكسبير في معركة جراب عام ١٩١٥. في حين كان لمملكة الحجاز علاقات دبلوماسية مع عدد من الدول الإسلامية والأجنبية، كبريطانيا وهولندا وروسيا وإيران. وكانت هناك وزارة خارجية أواخر العهد الهاشمي، وبعثات صحيّة أجنبية، الخ.

بعد سقوط الدولة العثمانية، واكتشاف الأشراف خيانة الإنجليز فيما يتعلق بمعاهدة سايكس بيكو، ومنع قيام الدولة العربية الموحدة الموعودة، حاول الشريف (الملك) حسين المقاومة ما وسعه الأمر، ورفض تقسيم البلدان العربية، كما رفض التخلّي عن فلسطين، وقاوم الشريف فيصل (الملك فيما بعد) الفرنسيين رافضاً التخلّي عن سوريا فقامت معركة ميسلون؛ وواصل الشريف مقاومة تهديدات لورانس بعزله والقضاء على مملكة الحجاز وتسليمها لغريمه إبن سعود ولكن دونما جدوى.

وتشير حوادث التاريخ الى أن الشريف أعاد النظر في سياسته الخارجية، فسعى الى إقامة علاقات مع الإتحاد السوفياتي أزعجت الإنجليز، ورأوا أن الشريف يحاول عقد تحالف مع الروس كما مع (الكماليين) الذين يقاومون الفرنسيين والإنجليز واليونان لتحرير تركيا من الإستعمار، لهذا كانوا شديدي الإمتعاض، وكان ذلك أحد الأسباب التي دفعت بالإنجليز لإنهاء حكم الأشراف في مملكة الحجاز.

في أواخر عام ١٩٢٠م، حاول الشريف حسين لملمة الحكام العرب لمحاربة الفرنسيين، وإقامة حكومة عربية تشمل كل بلاد الشام رداً على معاهدة سايكس ـ بيكو. ورصد الإنجليز زيارة لشخصية روسية جاءت الى مكة تحت إسم (سافيت باشا) فأكرمه الشريف حسين وقدّره، قالت مصادر بريطانية أنه كولونيل سابق في الجيش الإمبراطوري الروسي، وأنه نزل من الباخرة واتجه فوراً الى مكة حيث تلقى معاملة ضيف شرف، وأنه (قضى الأيام القليلة الأولى في مكة يتفقد المؤسسات العامة وثكنات الجيش حيث قامت الحامية باستعراض عسكري على شرفه وهو يرتدي زياً عسكرياً روسياً).

وتقول المصادر البريطانية أن حلفاً غير معلن قد تشكل بين البولشفيك والعرب والقوميين الأتراك (مصطفى كمال)، لتغيير المعادلة السياسية في بلاد الشام على وجه التحديد. توضح وثيقتان بريطانيتان صادرتان من القاهرة مؤرختان في ٢٠ و ٢٢ ديسمبر ١٩٢٠ قيام نواة تحالف بين القوميين العرب والكماليين والبولشفيك (الروس) وكيف أن (الفكرة تبلورت في مكة والمدينة منذ بضعة أشهر، وأن الملك حسين يتلقى كميات وفيرة من الأموال التي تجبى من الحجاج، ومن العائدات، وربما من مصادر خارجية). وفسرت البرقيتان هذا التحرك والحركة بأنهما جاءا بسبب (عدم رضا العرب.. وخاصة الملك حسين ورهطه، عن وضعهم الحالي الذي خلق بموجب معاهدة السلام ـ سايكس بيكو). وأشارت البرقيتان الى أن الشريف تحرّك من أجل إيجاد إجماع بين القادة العرب لمواجهة الفرنسيين، شكك الإنجليز في إمكانية حدوثه والإستجابة له، خاصة من قبل أمير نجد إبن سعود، رغم تدخل شخصيات دينية ووطنية مثل (الشيخ رشيد رضا) و(كامل القصاب). حتى أن الإمام يحيى بعث برسالة إلى ابن سعود من أجل ذلك في شهر أكتوبر ١٩٢٠م، مرفقة مع نسخة من صحيفة (الفلاح) الصادرة في مكة، تظهر بوضوح ان الملك حسين يحث العرب جميعا على الانتقام من فرنسا.. ولكن ابن سعود سلم الرسالة ومرفقاتها مباشرة للإنجليز.. فشكروه على ثقته بهم، وكشف تحرك الشريف حسين، الأمر الذي جعلهم فيما بعد يدعمونه ليحتل الحجاز.

فشل الأمراء في ثني أميركا عن سياسة إزالة ملكهم، فلوحوا بعضلات مترهلة من موسكو!

قدم الروس الى جدة بدعوة من الشريف حسين، الذي وافق على فتح قنصلية لهم هناك عام ١٩٢٣م، وفتحوها بالفعل في أواخر عام ١٩٢٤م. وكان قنصلهم في جدة مسلما، وكان يدخل مكة والمدينة بحرية حُرم منها الممثلون الأجانب غير المسلمين، وقد استقبله الشريف حسين يوم وصوله استقبالا أثار استغراب البريطانيين، وكان للشريف حسين أسبابه في كل هذا: فقد بدأ يدرك أن البريطانيين باتوا على استعداد للتخلي عنه، وأصبحت مشاريعهم المشتركة مع فرنسا في سورية والعراق وفلسطين تتنصّل من كل الوعود التي قطعتها بريطانيا له عام ١٩١٤م.. وبعد ذلك عام ١٩١٦م.

من جانبهم كان الروس يحاولون دخول الجزيرة العربية عن طريق اليمن أولا.. ثم عن طريق إقناع الشريف حسين بأنهم مع خططه تجاه سورية الكبرى، وعرضوا عليه المساعدة بواسطة عائلة لطف الله التي كان أحد أفرادها يستعد ليصبح ملكاً على سورية بتكليف من الشريف حسين، وقد قبل الشريف العرض السوفييتي، ثم لحق تأسيس القنصلية وصول طيارين وميكانيكيين روس للعمل في سلاح طيران

الجيش الحجازي.

ناجي العسيل، ممثل ملك الحجاز في لوزان، كان يزوّد الإنجليز بالمعلومات عن الوجود الروسي. في وثيقة للخارجية البريطانية مؤرخة في ١٩٢٣/١/٢، معلومات قدمها ناجي العسيل عن مخططات روسية لإقامة علاقات مع الممالك العربية، خلافا للرغبة البريطانية. كما كشف عن اتصالات بين تشيكيرن - أحد المسؤولين الروس - وبينه (العسيل) حيث سلم تشيكيرن مذكرة من حبيب لطف الله الذي كان ممثلاً للشريف حسين في لندن، والذي أصبح ممثلاً له في روما. وقد أوضحت المذكرة لتشيكيرن محاولة الشريف إقامة اتحاد كونفيدرالي بين البلدان العربية، فرد تشيكيرن بأن روسيا باعتبارها احدى الأمم الشرقية القيادية، مهتمة جدا بهذه الفكرة. ثم وجه تشيكيرن عدداً من الأسئلة عن ابن سعود، وعن اليمن والادريسي، وعن الذي يسيطر حاليا على الحديدة، وقال إنه بمجرد عودته إلى موسكو، سيعرض القضية العربية كلها للدراسة والفحص الدقيق. وأخيرا قال تشيكيرن: (أنه تواق لعقد معاهدة تجارية مع الحجاز، ولتعيين وزير مفوض في جدة، وسأل عما يمكن أن يكون رأي الملك حسين في ذلك).. رد الدكتور ناجي متذرعا بعدم وجود أية تعليمات لديه تخوله مناقشة هذا الأمر.. وأضاف الدكتور ناجي (بأنه يعتقد بأن الخديوي السابق، وعدة أعضاء من الوفد السوري/ الفلسطيني، هم على اتصال بالمستر تشيكيرن هنا في لوزان فيما يتعلق بكل هذه القضايا، وأن حبيب لطف الله قد عقد أربعة لقاءات مع موسوليني في روما لبحث المشروع الكونفدرالي العربي).

لقد تحول العرب نحو إيطاليا وألمانيا فيما بعد، لاستحصال بعض حقوقهم ومحاربة البريطانيين والفرنسيين في فلسطين وسوريا، وذلك ردا على خيانة بريطانيا للعهود التي قطعتها للعرب أثناء الحرب العالمية الأولى.. إضافة إلى أن العرب حاولوا أن يتنصلوا - كما فعل الإنجليز - من ارتباطاتهم بهم، وتوجهوا نحو القوى الأخرى ومن ضمنها روسيا، التي دخلت كغيرها في لعبة التنازع على المصالح والنفوذ في بلاد العرب. ولما كان الشريف حسين أكبر المخدوعين، فقد ظل على خلاف مع الإنجليز منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى وحتى وفاته منفيا في قبرص.

ومنذ عام ١٩٢٠م إلى عام ١٩٢٤م، لم يتحفظ الشريف في عدم التزامه بإقامة علاقات مع من يشاء، خصوصا بعد إيقاف الدعم عنه من قبل الإنجليز.. ولما وجد الإنجليز أن الشريف يريد أن يحول المنطقة ضدهم - أو هكذا تصوروا على الأقل - ضربوه بابن سعود، لتبقى الحجاز والشام وباقي بلاد العرب كما هي، مزرعة إنجليزية/ فرنسية، دون تدخل من أطراف خارجية قد تعكر الأجواء!

في ٣٠/٩/ ١٩٢١م، أرسل المندوب السامي البريطاني في بغداد رسالة طويلة لابن سعود تستعرض آثام الروس والمآسي التي سببوها في البلاد التي احتلوها، وكيف انهم ينهبون الطعام من الأهالي الجائعين، كما وتستعرض محاولات الغرب المساعدة؛ وأخيراً أضاف المندوب السامي بالقول: (الحمد لله أننا نحن هنا في العراق، وأنتم في نجد في منأى عن شرور البلشفية ومساوئها)!

خلال هذه الفترة بدأ الإنجليز يتحدثون عن الشريف حسين كرجل معاد لهم، ويصفونه بأنه رجعي جاهل مستبد. في ٣١/ ٧/ ١٩٢٤م، بعث الميجور بولارد، القنصل البريطاني في جدة يخبر وزارة الخارجية في لندن بأنه علم من مصدر موثوق: (أن الملك حسين يتوقع مسلماً روسيا لشغل منصب القنصل الروسي قريبا جدا، وهو يعد له استقبالا ودياً للغاية). وعلق مسؤول بريطاني على ذلك: (سيكون من الصعب على مبعوث سوفياتي أن يتظاهر بأنه معجب بالملك حسين وبأساليبه الأوتوقراطية). ما هي إلا أيام قلائل حتى وصل معتمد الروس إلى جدة في الثامن من أغسطس ١٩٢٤م، واصبح قنصلا رسميا. فكتب القنصل البريطاني (بولارد) من جدة الى رؤسائه في ١٩٢٤/٨/١٨م، تقريراً عن ذلك يقول فيه: (وصل الممثل السوفياتي الى جدة يوم ٨ أغسطس، وطبقا للبطاقة التي قدمها لي حين قدم لزيارتي، فإن اسمه هو: كريم حاكيموف، معتمد الاتحاد السوفياتي وقنصله العام لدى جلالة ملك الجزيرة العربية الهاشمي). وحاكيموف عمل في طهران ثم في مشهد وهو تتاري يتقن الروسية والتركية والفارسية، ولكنه لا يتقن الإنجليزية أو الفرنسية، ويبدو أنه كان يعرف القليل من اللغة العربية، ولكنه لا يستطيع التحدث بها. وقد أحضر حاكيموف معه تتاريين آخرين، قدمهما على أنهما السكرتير الأول والسكرتير الثاني، أحدهما يعرف الفرنسية. وتتضمن قائمة موظفي الممثلية الروسية مترجما يجيد العربية، والقليل من الإنجليزية.. كما تضم ما دعاه ضارب آلة كاتبة وهو: (نعوم ماركوفيتش).

ورأى بولارد، أن كون حاكيموف مسلماً يعطيه ميزة واحدة على نظرائه الأجانب، وهي أنه يستطيع الذهاب إلى مكة، وقد ذهب إلى هناك بالفعل في سيارة قدمها الملك (حسين)، وذلك عقب وصوله بفترة وجيزة.. وحين أتى الملك إلى جدة بعد عدة أيام.. قام بزيارة الممثل السوفياتي، وبقي معه ما يزيد على الساعة. وفي تقييمه للعلاقات رأى بولارد أنه (يستحيل عدم قبول الانطباع السائد في كل مكان في جدة بأن الهدف الرئيسي للبعثة هو الدعاية.. ثم إن حجم البعثة، والاعتراف الأحمق بالملك حسين ملكا على الجزيرة العربية، وحقيقة أن الممثل الروسي - أو رسولاً عنه - سيتنقل ما بين البعثة في جدة والممثل السوفياتي في روما، إنما تعطي هذا الاعتقاد شيئا من المصداقية، إن ملاءمة جدة للدعاية على مستوى هائل، أمر واضح تماما، خاصة إذا أخذت آراء الملك حسين عن الشرق والغرب بعين الاعتبار).

لقد وجد الإنجليز أن النشاط السوفياتي في جدة يستهدفهم تحديداً، أو يستهدف رعاياهم من المسلمين في البلدان التي كانوا يحتلونها. بل وصل الأمر بهم الى تفتيش ماضي حاكيموف ووجدوا أنه ألقى خطابات (حمقاء معادية لبريطانيا) حسب تعليق الخارجية البريطانية. ومما أثار الإنجليز أكثر هو اعتراف الروس بالملك حسين ملكا على الجزيرة العربية وليس فقط الحجاز، واعتبروه في أدنى الأحوال عملاً سيء التوقيت، ويغذي أحلام الشريف حسين بتأسيس دولة الوحدة العربية وتخريب مخططات الإنجليز وحكومات الإنتداب الفرنسية والبريطانية في المنطقة.

ما بدأه الأشراف يعود إليه السعوديون بعد ثمانين عاماً! فهل تكون نهايتهما متشابهة؟

وجاء ردّ فعل الإنجليز سريعاً، فبعد أيام من إقامة الممثلية الروسية كان إبن سعود يغزو الحجاز بتشجيع من الإنجليز، وقد كان الأخيرون وحتى عام ١٩١٩ يحذرون الأمير السعودي من فعل شيء، وهددوا بضربه إن تعدى حدود نجد، وكان الأمير السعودي حينها قد اخترق الحدود الحجازية وأقام مجزرة في تربة وتوغل الى الداخل الحجازي قبل أن ينصاع للتهديد البريطاني. في هذه المرة خشي الحاكم السعودي تكرار التجربة، لكن حافظ وهبة مستشار الملك، وكما كتب هو ذلك، نصح الملك أن يضرب الشريف بسيوف الإسلام (الإخوان)! وأوضح للملك بأن الإنجليز صاروا أعداءً للشريف، وبالتالي تغير الوضع. وفعلاً قام بمهاجمة الطائف، واستباحها وأقام فيها مجزرته المعروفة، ثم ليزحف على مكة أواخر سبتمبر ١٩٢٤ ويحتلها.

حسم الإنجليز خيارهم بإزالة دولة الأشراف والإنتصار لعبد العزيز آل سعود، فالشريف بنظرهم أصبح خطراً، بعد أن كان مجرد مشاغب، يجب أن يزال ويؤتى بخصمه. ولهذا يلاحظ أن اللهجة البريطانية أخذت تنحو باتجاه الاستهزاء والسخرية بالشريف ودولته

وحلفائه، كما تطفح بذلك وثائقهم. في الظاهر فإن الإنجليز حلفاء الطرفين: الهاشمي والسعودي. ولكن حين هاجمت القوات الوهابية مكة وقبلها الطائف، وبعد ذلك جدة والمدينة، لم يمنع الإنجليز المعتدي ولم يقفوا على الحياد، بل زودوا ابن السعود بالسلاح والمال، في حين كان الشريف يناضل من اجل الحصول على سلاح بريطاني سبق له أن دفع ثمنه مقدماً (خمسون ألف جنيه)، ولكنهم رفضوا ذلك، وكان تبريرهم حينها، وكما كتب القنصل البريطاني في جدة في ١١/١٢/١٩٢٤م الى رؤسائه، أن السلطات الحجازية: (تلقت أنباء من المركز العربي في القاهرة ـ أي مركز المخابرات البريطاني ـ تفيد بأن حكومة جلالة الملك البريطانية قد رفضت منح رخصة التصدير، وهذا ما لم تستطع السلطات فهمه، لأن الحجاز من الدول الموقعة على ميثاق تجارة الأسلحة المبرم عام ١٩١٩م). ويضيف بولارد: (ولكن من المحتمل أن حكام الحجاز لم يقرأوا مواد الميثاق التي تحدد إجراءات واضحة وفعالة لمنع الأسلحة والذخائر من الوصول إلى أيدي أناس ليس لهم حكومة مستقرة). أي أن حكومة الحجاز لم تعد مستقرة، ورهان الإنجليز قائم على إسقاطها بيد آل سعود، حليفهم الذي لا بديل له!

مع هذا.. تلقت حكومة الحجاز في ٢٢ نوفمبر ١٩٢٤م ثلاث طائرات أوروبية، بموجب عقد مع شركة (بي في أو) للملاحة البحرية، وهي طائرات قديمة ليست ذات نفع.. أما الطيارون الإنجليز الذين تمّ التعاقد معهم فقد منعتهم حكومتهم من ذلك ورفضت اعطاءهم ترخيص عمل، إلا إذا غير وزير الدولة للشؤون الخارجية رأيه، هذا بالرغم من أن الطيارين الإنجليز وصلوا الى السويس. والهدف واضح، وهو إسقاط حكم الأشراف الذين خسروا مكة بعد الطائف، وحوصرت جدة والمدينة المنورة.. ولذا اعتمد الشريف علي بن الحسين على طيارين وميكانيكيين روس.

وأفضل ما يوضح نوعية الطائرات والطيارين، تقرير بريطاني مؤرخ في١١ ديسمبر ١٩٢٤، أعده بولارد يقول فيه: (وصلت السفينة نور/ NORE التابعة لشركة بي في أو للملاحة البحرية إلى جدة في ٢٢/ ١١/ ١٩٢٤م، وأنزلت ثلاث طائرات من إنجلترا لصالح حكومة الحجاز. تبين أن أول طائرة تم تجميعها هي من طراز (D.H.9) مزودة بمحرك سدلي بوما، وهي طائرة حربية، ولكنها غير مجهزة بمدفع رشاش، أما الثانية فهي أيضاً من نفس النوع دي هافيلاند، ومزودة بمحرك ديزل، ولكنها طائرة تجارية مزودة بكابينة لنقل الركاب، ويعتقد أن الثالثة هي من نفس نوع الثانية، وليس بين الطائرات واحدة جديدة). ويحلل بولارد مدى فائدة الطائرات في تغيير سير المعارك بين ابن سعود والشريف علي الذي خلف والده في حكم الحجاز، فيقول: (أما الطيار الوحيد المتوفر، وهو روسي يدعى شيركوف، فيقوم بطلعات استطلاعية كل صباح ومساء تقريباً، وهو يستخدم الطائرة الأولى دائما، بعد أن حطم بطن الثانية حين هبط بعد طلعته الأولى فيها. ولأنه يرفض التحليق فوق مناطق العدو على ارتفاع يقل عن تسعة آلاف أو عشرة آلاف قدم، وبما أن المراقب المرافق له أعور العين! ويصر على لبس نظارات سوداء في كل طلعة، فلا يعتقد بأن التقارير التي يعودان بها ذات أهمية كبيرة. يلح قائد الجيش تحسين باشا على شيركوف باستمرار لكي يلقي قنابل على ما يفترض أنه تجمعات لقوات العدو، إلا أن شيركوف ما يزال يرفض حتى الآن رغم أنه لا توجد قنابل طائرات في البلاد الحجازية، لذا طلب تحسين باشا من الطيار أن يلقي قنابل يدوية، ولم يقتنع تحسين إلا بعد جهد جهيد أن هذه القنابل إن لم تمزق الطائرة إربا.. فإنها ستنفجر قبل الوصول إلى الأرض. عندها اقترح إلقاء القذائف المدفعية، وقام هو بنفسه بتجربة ألقى خلالها قذيفتين، لكن أيا منهما لم تنفجر).

وتأتي وثيقة أخرى لتكمل الموضوع، مؤرخة في الثلاثين من ديسمبر ١٩٢٤م، ومرسلة من القنصل (بولارد) إلى أوستن تشامبرلين في وزارة الخارجية بلندن، حيث تلخص آخر التطورات العسكرية بين الجيشين السعودي والهاشمي، وتشير الى حادثة وقعت يوم ٩ ديسمبر، حين قامت طائرتان، يقودهما طياورن روس، بإلقاء أربع قذائف قرب موقع (بحرة) الواقعة في منتصف المسافة على الطريق إلى مكة. وحول القوة الجوية الهاشمية تقول الوثيقة أنها تتألف من ثلاثة طيارين، وستة ميكانيكيين، وجميعهم من الروس، أما المستر كنغ، وهو أحد الطيارين البريطانيين الثلاثة الذين منعتهم حكومتهم من المشاركة في الحرب الى جانب الأشراف كطيارين، فقد قرر الحضور إلى جدة، في محاولة للتوصل إلى تسوية مع حكومة الحجاز، لأنه لم يكن يملك من المال ما يكفيه للعودة إلى بريطانيا. وقد وافقت الحكومة الحجازية على مطالبة المعتمدية البريطانية في جدة بألا يستخدم المستر كنغ للعمل في الحجاز، كما أنه شخصيا قدم تعهدا خطيا بألا يعمل في خدمة الحكومة الحجازية، لا كطيار، ولا كميانيكي، ولا كمدرب.

وقد حاول الشريف علي بن الحسين المحاصر في جدة أن يجد دعماً من الإيطاليين والألمان، رغم أن أقدام الحكم الهاشمي قد شارفت على الزوال. وبالفعل أرسل الألمان دعمهم للشريف ضد ابن سعود حليف الإنجليز: فقد وصل ستة من الألمان يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٢٤م، للعمل في الجيش الحجازي.. وطبقا لما قالوه هم أنفسهم، فإنهم ينتمون إلى أسلحة مختلفة، ولكن من الممكن أنهم سيعملون في سلاح المدرعات، اي السيارات المدرعة التي يتحدث عنها الكثيرون.. قيل أن منشأ هذه السيارات ألمانيا، وقيل أحيانا أخرى أنه الدانمارك).

غير أن الدولة الهاشمية كانت الى زوال. ومما ساعد على زوالها السريع أن الشريف حين تقدم بخطوات نحو إقامة علاقات متميزة مع الروس والى حد ما الألمان والطليان، كان الوقت قد أزف، وحان وقت النهاية. فالقوة البريطانية العظمى، حليفة الأشراف، تحولت خلال سنتين بعد الحرب العالمية الأولى الى قوة معادية تستهدف تدمير الدولة الحجازية نفسها. وجاءت العلاقات مع الروس كمبرر إضافي لمشروع إنهاء الدولة الحجازية وقيام الدولة الإمبراطورية السعودية.

اليوم يمشي الأمراء السعوديون في ذات الطريق الذي مشى فيه الأشراف. لقد تحولت السعودية من حليف الى عدو للغرب منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وأصبح الحامي الأميركي للعرش السعودي مهدداً له، الى حدّ جعل الأمراء السعوديين يتسمرون في أماكنهم وكأنهم قد أصيبوا بالخبل! وهم يشهدون نهاية العلاقات التاريخية مع الغرب التي أحرقوا أصابعهم العشرة من أجل ديمومتها.

عبثاً حاول السعوديون إرضاء الحليف، وعبثاً سعوا لإرضائه! وعبثاً عملوا لإصلاح ما انهدم من مشاعر ومصالح.. لكن الحامي الأميركي يصرّ على إزالة دولة السعوديين، والحكومة البريطانية العظمى التي ساهمت في صنع العرش السعودي صارت ترسل التحذيرات في تناغم مشترك مع أميركا، ترسلها الى السعوديين، وتقول لهم بأن أيامهم صارت معدودة في الحكم.

وحين فشل الأمراء السعوديون في ثني أميركا عن سياسة إزالة ملكهم، أرادوا التلويح بعضلات مترهلة ومستوردة أيضاً! والإيحاء بأنهم يستطيعون إقامة علاقات مع القوى الأخرى! وجاءت زيارة ولي العهد الى موسكو لتوسع البدائل أمام النشاط السياسي السعودي، كما يبدو في ظاهره، ولكن هذا التحول التكتيكي ليس فقط لا يغني عن آل سعود شيئاً، بل أنه قد يشجّع حلفاءهم بالأمس الى سرعة التخلص منهم.. مثلما فعلوا مع الهاشميين في الحجاز.

وبذا فإن العلاقات مع روسيا أشبه ما تكون بقبلة الموت الموسكوبية!

هل نقول قريباً: ما أشبه الليلة بالبارحة! وما أشبه نهاية الأشراف في الحجاز بنهاية آل سعود في الرياض؟!

ملف

العلاقات السعودية الروسية وإرث الحجاز المُحتلّ

(١-٢)

نشأت العلاقات السوفياتية ـ السعودية صدفة! فقد احتل السعوديون الحجاز ووجدوا الروس هناك يبادرون فيهنؤون! وبعد ثلاثة عشر عاماً، وبعد فشل الملك السعودي في (بيع) الوجود الروسي في الحجاز مقابل مساعدات بريطانية، تمّ قطع العلاقات بين البلدين عام ١٩٣٨ لتعود العلاقات من جديد بعد نصف قرن تقريباً أواخر الثمانينيات وبعد تفكك الإتحاد السوفياتي نفسه. ومنذئذ وحتى بداية سبتمبر ٢٠٠٣ لم تكن العلاقات بين جدة وموسكو متميزة بل كانت أقلّ من عاديّة، فهل هذا المختصر المبسط للعلاقات يمكن أن يتحوّل الى تحالف استراتيجي بين البلدين؟ وهل يفيد في حماية النظام السعودي الذي بدأ يترنح بسبب المشاكل البنيوية ذات الإنعكاسات شديدة الخطر، والتهديدات الغربية الخارجية؟

الحجاز، كان محور النشاط السياسي بين موسكو والرياض. في هذا البحث الوثائقي استعراض للعلاقات السوفياتية السعودية بين عامي ١٩٢٦-١٩٣٨.

الروس يُهنئون

سقطت جدّة تحت وطأة الإحتلال في يناير ١٩٢٦، ودخلها ابن سعود فوجد أن هناك تمثيلا دبلوماسيا رسميا راسخا منذ فترة طويلة، ووجد مؤسسات قائمة بالفعل، وسفارات وقنصليات وما أشبه. فرأى الملك السعودي أن يحتفظ بكل المؤسسات الهاشمية، وبكامل التنظيم الإداري في الحجاز، بما في ذلك العلاقات الخارجية مع كل من أقام علاقات مع الأشراف ممن لهم قنصليات في جدة، ومن بينها القنصلية الروسية.

لم تقلق القنصلية الروسية عبد العزيز ابن سعود حين دخل جدة واحتلّها، بل على العكس، كان القنصل السوفياتي أول من نقل اعتراف حكومته به ملكا على الحجاز في السادس عشر من فبراير ١٩٢٦، طالبا في نفس الوقت أن يبقى هذا الاعتراف مكتوماً حتى تقدم بريطانيا اعترافها رسميا به! فالسوفيات الثوريون والتقدميون لا يريدون من خلال اعترافهم هذا أن يبدو في أعين أصدقائهم ومؤيديهم في العالم بمظهر من يسارع إلى مصافحة ملك رجعي استبدادي ثيوقراطي. وحتى مارس ١٩٢٦، فإن الملك السعودي لم يحصل إلا على اعتراف شفوي كحاكم للحجاز من القنصلين الفرنسي الإيطالي.

ومهما كان السبب، فإن استغراب البريطانيين لم يعادله شدة إلا غضب الملك عبد العزيز، الذي أطلع أصدقاءه البريطانيين على الاعتراف الروسي وعلى الطلب الذي رافقه، ثم سارع إلى نشره في جريدة (أم القرى)، الصحيفة الوحيدة والرسمية التي خلفها الشريف حسين وابنه علي بعد رحيلهما، وذلك في ١٣٤٤/٨/٣هـ الموافق ١٩٢٦/٢/١٦م، رغم طلب كريم حاكيموف، الممثل الروسي، عدم النشر. حسب أم القرى، قالت رسالة الإعتراف الروسية من حاكيموف: (إستنادا إلى أمر حكومتي.. لي الشرف بأن أعلم جلالتكم بأن حكومة الجمهورية السوفياتية، عملا بالمبدأ الأساسي المتعلق باستقلال وحرية الأمم، واحتراما لإرادة شعب الحجاز التي عبر عنها في بيعته لجلالتكم ملكا على الحجاز، تعترف بجلالتكم ملكا على الحجاز، وسلطانا على نجد وملحقاتها. وبناء على ذلك، تعتبر الحكومة السوفياتية نفسها أنها تقيم علاقات دبلوماسية طبيعية مع حكومة جلالتكم).

في أول قضية بعد احتلال جدة جاء أنه في بداية شهر فبراير ١٩٢٦م، انزعج البريطانيون من تقارير وردتهم حول شخص تركي بعثته حكومته لليمن، يقول الإنجليز أنه يهدف إشعال الفتنة فيه ضد الإنجليز، وأن هذا التركي سيحاول إقناع ابن سعود بأن يشعل الأزمة في عدن ضد البريطانيين للتغطية على هجوم متوقع سيشنه الأتراك على الموصل في العراق.. وتقول وثائق الإنجليز بأن الشخص لتركي ويدعى (راغب بيك) على اتصال بحاكيموف القنصل الروسي في جدة، ومن خلال الرسائل مع تشيكرين. وأخيرا يتبين أن راغب مكلف بترحيل الموظفين الأتراك من اليمن ليس إلا.

لقد بدأ التحرك البريطاني مبكراً مستهدفاً وبصورة مباشرة اقتلاع القنصلية الروسية بالدعايات والإشاعات والتلميحات لابن سعود بأن يضيق على الروس لأنهم يثيرون الدعايات ضد البريطانيين، أو لأنهم يلوثون عقول الحجاج بالعقيدة الشيوعية!

■ في ١٩٢٧/٣/١٥ نشرت صحيفة أم القرى الرسمية بلاغاً جاء فيه نفي لأخبار عن نشاطات شيوعية بين الحجاج! نشرتها صحف مصرية على علاقة بالإنجليز، وقال البلاغ أن تلك الأخبار عارية عن الصحة وأن النشاطات الشيوعية (غير موجودة في أي جزء من أجزاء الحجاز) وأن حكومة الحجاز (السعودية!) كتبت إلى الحكومة الهولندية، تطلب إجراء التحقيق للتعرف على مصدر هذه الإشاعات الكاذبة. وقد تلقت حكومة الحجاز رد القنصل الهولندي بعد إجراء التحقيق المناسب، وهو ينكر الأمر كله، ويبين أنه لا المفوضية الهولندية في مصر، ولا أي فرد من عناصرها، قدم تقريرا بهذا المعنى. وقد علق مائير، القائم بأعمال القنصل البريطاني في جدة على البلاغ السعودي بأنه (إنذار للروس، وطمأنة للدول الكبرى الأخرى. ويمكن النظر إليه على أنه إنذار للروس).

■ في حج عام ١٩٢٧ أخّر حاكيموف، الممثل الروسي في جدة إجازته السنوية بسبب موسم الحج، حيث كان مؤملاً أن تأتي أعداد كبيرة من الحجاج الروس، قيل في البداية عشرة آلاف حاج، ثم خفض الرقم الى أربعة آلاف ثم ألفان! الأمر الذي جعل الممثل منزعجاً من حكومته التي خذلته. كان مخططا أن يكون هناك معرض روسي تجاري، وقبل أن تصل سفينة الحجاج الروسية، قدم القناصل البريطاني والهولندي

والمصري إلى وزير الخارجية السعودي احتجاجات شديدة اللهجة محذرة من النشاط الشيوعي! فأكد لهم وزير الخارجية فيصل بأن الأفكار الشيوعية لن تنتشر بين الحجاج، ووعد بأن يفرض مراقبة شديدة ودقيقة للغاية. حتى السفينة التجارية الروسية التي حملت معرضاً للبضائع الروسية، رفضت سلطات الجمارك السعودية السماح لها بإنزال نحو مائة صندوق من البضائع دون تفتيشها.

ولأن المسألة لا تعدو مبالغة بريطانية ضد منافسة الروس، كتب القنصل البريطاني الجديد حينها (ستونهيور بيرد) الى رؤسائه في ١٩٢٧/٨/١ (ليس هناك من سبب للاعتقاد بأن الحجاج الروس الأربعمائة قد نجحوا في إدخال أية دعاية بولشفية، أو أنهم حتى قاموا بمجرد محاولة في هذا السبيل، وما أطلق عليه اسم: المعرض التجاري.. لم يكن ناجحا، فقد عرضت فيه نماذج من المنتجات الروسية بالذات، مثل السماور والكافيار، إلا أن معظم المعروضات كانت تباع في السوق العامة.. مئات الياردات من الأقمشة التي لا يمكن أن تباع في هذا الوقت من السنة، وكميات هائلة من الدقيق التي لاقت رواجا فوريا).

السلطات البريطانية والهولندية تعتبر أي نشاط معادٍ للإحتلال البريطاني عملاً شيوعياً، وكل من يحرض على الثورة ضد الإحتلال شيوعياً حتى وإن جاء على ظهر مراكب السفن للحج! والشيوعية في تلك الأيام مثل حكاية الإرهاب هذه الإيام، تلبّس كلّ من يعادي الإحتلال والعدوان. لقد تم القبض في حج ١٩٢٧ على تسعة جاويين في جدة قيل أنهم شيوعيون! اقرأ ما كتبه ستونهيور مبالغاً حول الأمر: (أحدث اعتقال الشيوعيين العتاة ـ راجندا تانجسي، ومحمود صالح مردم، ومعهما سبعة آخرون ـ اهتماماً بالغاً ومثيراً يوم تم الاعتقال في ٤/يونيو/١٩٢٧م، وقد ثبت أنهم كانوا ينشرون الأفكار التحريضية بين مواطنيهم، حتى أنهم حاولوا إقامة مطبعة خاصة بهم لتسهيل نشر الدعاية الشيوعية)!

■ في أغسطس ١٩٢٨م غادر حاكيموف جدة متوجها إلى موسكو، وليس في نيته العودة إلى جدة. والسبب كما يقول زميله البريطاني: (إن تردده في الاستمرار بعمله أمر ممكن فهمه بسهولة، فهو من مواطني سيبيريا، ولم يكن يملك اللياقة الصحية لتحمل الطقس هنا، كما فقد إبنا صغيرا من أبنائه في جدة، وإضافة إلى ذلك فقد كان حاكيموف يبدو غير قادر أن ينجز عملا ما باعتدال: فهو إما أن يسكر حتى يصل إلى حالة الإنهيار العصبي، أو يمتنع نهائيا عن تناول المسكرات. ما عدا ذلك.. كان حاكيموف شخصا لطيف المعشر، مرحا، وسيُفتقد حضوره في جدة)!

هل يمكن بيع الوجود الروسي في جدة؟

■ توصل الملك عبد العزيز إلى قناعة مفادها أن الإنجليز راغبون في وضع حد للوجود السوفياتي في الحجاز، وقرر بناء على ذلك، أن يبيع هذا الوجود إلى بريطانيا! أرسل مستشاره الشخصي حافظ وهبة (وهو مصري الأصل) إلى القاهرة لمقابلة اللورد لويد المندوب السامي البريطاني في مصر، وعرض عليه العمل معاً لكسر شوكة النشاط الروسي في الحجاز.. سُرّ البريطانيون كثيرا لهذا العرض، وبدأوا يعدون العدة لإرسال كشوف سرية بأسماء من كانوا يقومون بمثل هذه النشاطات (البولشفية المعادية لبريطانيا) إلى ابن سعود كي يتولى تصفيتهم. تقول وثيقة بريطانية مؤرخة في ١٩٢٨/١/١٩ (ألمح حافظ إلى أن ابن سعود ربما يكون مستعدا لأن يبعد كل النفوذ البولشفي من الحجاز مقابل اتفاق مرض، للحيلولة دون تنامي النفوذ الإيطالي في اليمن).

لقد كان النشاط الروسي وهماً متضخماً في أذهان الإنجليز، فأراد الملك السعودي البارع في لعبة السياسية أن يبيعهم ذلك الوهم، فما هو الثمن؟ لقد كتب ابن سعود رسالة الى لويد ألمح فيها الى العروض التجارية المغرية الروسية، وكأنه أراد القول بأنه سيرفضها إذا ما حصل على دعم بريطاني. هذا ما فهمه مسؤول قسم السعودية في الخارجية البريطانية، فالملك (على استعداد فعلي للحد من نشاطات البولشفيك التجارية، ولمقاومة الدعاية البولشفية في ممتلكاته، مقابل مساعدات يتلقاها من الحكومة البريطانية).

ورأى وزير الدولة البريطاني، بأنه لا يتوقع إلا القليل من الخطر على المصالح البريطانية، نتيجة التغلغل البولشفي في شبه الجزيرة العربية، إلا أن الفرص التي يتيحها موسم الحج لتسريب الدعاية المضادة لبريطانيا بين الحجاج، هي مصدر خطر حقيقي، كما أن هذه الفرص تشكل خطرا على ابن سعود نفسه. ولم يشك الوزير في قدرة ابن سعود على كبح جماح النشاطات البولشفية في أراضيه، إذا ما وجد أن القيام بمثل هذا الإجراء سيكون في صالحه. كان الرأي الأولي لدى الخارجية البريطانية يفيد بلا ممانعة من جهة (أن يعرض على ابن سعود شكلاً من أشكال التسهيلات التجارية والمالية، خاصة فيما يتعلق بالإمدادات العسكرية، والتي ستشكل إغراءاً إضافياً بالنسبة له).

في خضم النقاشات حول ثمن القضاء على الوجود الدبلوماسي الروسي، قال بعض السياسيين البريطانيين أن ما يفعله الملك تجاه الروس هو رد جميل لما فعلته الحكومة البريطانية لابن سعود ودعمه في إقامة مملكته، وهذا ما قاله وهبة للورد لويد. لكن القنصل في جدة كتب تحليلاً وأرسله في ١٩٢٨/٤/٩ قال فيه: (أرى أن الملك ابن سعود يحاول جاهدا أن يجني ثمارا كبيرة من موقفه تجاه البولشفية، وذلك بخلق الانطباع بأن الإجراءات الحازمة والقوية التي اتخذتها حكومة الحجاز مؤخراً.. إنما تمت خدمة للمصالح البريطانية، ورغم أنه مما لا شك فيه أن الإجراء وتوقيته كانت تحدوه رغبة بعدم القيام بعمل يتعارض مباشرة مع مصالح بريطانيا.. رغم هذا فإن للملك أسبابه القوية والكافية الخاصة به للقيام بهذا الإجراء). من هذه الأسباب ما يتعلق بتجار جدة: (إن التجار الحجازيين، والذين يمارسون نفوذا كبيرا بالفعل، نتيجة استعدادهم ـ وإلى حد كبير ـ لدعم خزينة جلالته الفارغة تقريبا وقت الحاجة، يقيمون مكاتبهم الرئيسية في بومباي غالبا.. ولهذا فإنهم سيفقدون الكثير إذا ما تحول خط سير التجارة من الهند إلى أي بلد آخر. ثم إن محاولة السوفيات إدخال سلع مثل الدقيق والسكر بأسعار تنافس تلك التي تباع بها المستوردات الهندية، قد قوبلت بأشد المعارضة من جانب التجار المحليين، وقد عزز من معارضة هؤلاء.. كون أهم شخصية بينهم هو حاكم جدّة نفسه).

أما السبب الثاني فيتعلق بموسم الحج نفسه: (ربما يبدو للوهلة الأولى أن تلوث الحجاج بالدعاية الشيوعية خطر يجب أن يقلق حكومات الهند، وجزر الهند الشرقية الهولندية، وماليزيا، ومصر، أكثر مما يقلق ابن سعود نفسه.. إلا أن مجرد الشك في أن يكون الحجاج قد تشربوا سم العقائد والأفكار الشيوعية سيكون كافيا ليبرر سحب

ورث آل سعود جهاز الدولة الهاشمية في الحجاز بكامله، فواصلوا علاقاتهم مع الروس، دون خوف من الشيوعية والإلحاد

الحكومات المتضررة للموافقات والدعم الخاص الذي تقدمه للحج، وقد أكدت مرارا في تذكير وزير خارجية الحجاز بهذا الأمر، وأنا على قناعة بأن الملك متيقظ لمخاطر تلاشي شعبية الحج، إذ ليس فقط يعتمد ازدهار الحجاز على موسم الحج، ولكن وجود الحجاز بحد ذاته يعتمد عليه أيضا). وفي ختام تقريره يوضح بيرد أن: (الممثل السوفياتي لا يخفي خيبة أمله للنتائج الهزيلة التي تحصل عليها مفوضيته من إقامتها في الحجاز. كما أن آخر محاولات وجهود السوفيات لكسب الود والنفوذ عن طريق إدخال وتوزيع المواد الغذائية الرخيصة، قد قوبلت بنفس الصد الحاسم والقاطع).

ويعترف بيرد بأن (الوصول إلى الحجاج هو أصعب مما يبدو بكثير.. فمنذ لحظة وصولهم إلى جدة، يدخلون كل حسب جنسيته.. تحت إشراف المطوفين أو وكلائهم، ولا يستطيع أي شخص من جنسية أخرى أن ينضم إلى غير مجموعته، كما أن أي محاولة يقوم بها أي شخص غير مخول لزيارة تلك المجموعات من الحجاج، ستنكشف في مكة على الفور، حيث تكون عملية الرصد والمراقبة الدقيقة سهلة، نتيجة تجميع كل الحجاج في منازل قريبة من الجامع. ومع هذا، قد تحاول المفوضية السوفياتية بالطبع، اتباع طرق أخرى غير تسميم عقول الحجاج، للمساهمة في إقلاق راحة وسلام العالم)!

■ في هذه الأثناء ورد خبر بأن بأن الحكومة السوفياتية تقترح إرسال كمية كبيرة من البترول والدقيق والسكر والمواد التموينية الأخرى إلى جدة خلال موسم الحج لتوزيعها مجانا على الحجاج، وذلك لدعم جهود الدعاية، وإضافة إلى ذلك فقد تم الإعداد لإرسال بعثة من اختصاصيّي الدعاية، اختيروا خصيصا، مع هذه المواد التموينية للعمل بين الحجاج. أرسلت هذه المعلومات الى ستونهيور بيرد في جدة في ١٩٢٨/٢/٢١ ليتخذ اللازم. رد بيرد من جدة في ٦/ ٣/ ١٩٢٨م قال فيها: (أعتقد أن السلطات المحلية يمكن الوثوق بها بأن تقوم بوضع العراقيل في عجلات الخطة السوفياتية، سواء فيما يتعلق بالتوزيع المجاني للمؤن الغذائية، أو بإنزال غير المرغوب فيهم في جدة. فيما يتعلق بتوزيع المؤن.. فإن احتمالات السماح بذلك قليلة أو معدومة، لأنه يتعارض مع أرباح القائمقام، والذي يعد أكبر تاجر هنا.. إضافة إلى كونه حاكم جدّة. وفيما يتعلق بنزول اختصاصيي الدعاية إلى الشاطئ، فقد أكد لي الدملوجي - مسؤول الخارجية - في حديث سري خاص، أنه إذا ما أمكن معرفة أي شيء محدد ضد أي روسي، فإنه لن يسمح له بالنزول من السفينة. والحكومة هنا في موقف قوي جدا بالفعل، فيما يتعلق بالرعايا السوفيات). ويضيف بيرد بأنه سيذكر الدملوجي بوعده إذا ما اقتربت الباخرة الروسية، وأنه سيهدده بمنع الحجاج الهولنديين والبريطانيين (أي الهنود والأندونيسيين).

وفي الجملة كان رأي القنصل بيرد أن (لا داعي للخروج عن سياستنا بأن نقدم لابن سعود أي مكافأة خاصة بالمقابل، إن استعداد الهند لحجب تشجيعها الناس من أداء فريضة الحج، يحتمل أن يكون أقوى عامل حث خارجي للحكومة الحجازية على إيقاف مثل تلك الدعاية في الحجاز). لكن وزير الخارجية حين سمع وجهات النظر كلها، رجح أن الإغراءات الكثيرة التي تقدم لابن سعود قد تتغلب على علاقاته الودية مع بريطانيا.

■ لقد رأى الملك السعودي التعاطي مع الملف السوفياتي بشكل مبهم وغامض، فهو لا يريد أن يبدو وكأنه يهدد به لاستحصال دعم بريطاني مالي، ولا يريد أن ينهي الوجود الروسي بلا ثمن، كما لا يريد أن يكون شديد الصراحة والإلحاح في الطلب، بل اعتمد حسب ما قيل على الكرم البريطاني، ولكن الإنجليز البخلاء هم الذين دفعوا ابن سعود دفعاً ليعلن ما يريده بالتحديد.

التقى فؤاد حمزة، القائم بأعمال وزير الخارجية السعودية بالقنصل البريطاني في جدة، وأوضح السياسة التي يتبناها السعوديون تجاه الحكومة السوفياتية ودوافعها. تتلخص رؤية السعوديين حينها - كما يشير بيرد في رسالة منه الى رؤسائه في ١٩٢٩/٢/٩م - بأن (الملك يدرك تماما أن الحجاز يمكن أن يكون بسهولة مركزا للدعاية المضادة لبريطانيا من قبل المعتمدين السوفيات، الذين قد يحاولون زرع أفكارهم وآرائهم في عقول الهنود من الحجاج، وبناء على ذلك تلقت حكومته تعليمات صارمة لمراقبة تحركات المعتمدين، والتأكد من أنه لا تجري أية دعاية ضد بريطانيا العظمى). ورأى فؤاد حمزة بأن من مصلحة بريطانيا وابن سعود مراقبة النشاط السوفياتي بعناية كبيرة، كما طمأن بيرد بأنه ليس هناك ما يخشى على هذا الصعيد. ولكنه استدرك بأن الحكومة السوفياتية طورت مخططا أكثر مكرا ودهاء لكسب ود الشعب والحجاج في الحجاز، ولتقويض المصالح البريطانية، وذلك بإرسالها إلى الحجاز شحنات من المنتجات الزراعية والسكر والدقيق وغير ذلك، لبيعها بأسعار أقل بكثير من تلك المتداولة في السوق للسلع المشابهة والمستوردة من الهند. وأضاف بأنه (حتى الآن يقوم الملك ابن سعود بوضع كل العراقيل الممكنة في طريق تفريغ وبيع البضائع السوفياتية في الحجاز، وآخر مثل على ذلك هو حادثة الباخرة السوفياتية كوميونيست التي وصلت إلى جدة وهي محملة ببضائع كثيرة.. فقد غادرت جدة دون أن يسمح لها بتفريغ كيس واحدة).

وتابع فؤاد حمزة، أنه من وجهة نظر الملك السعودي فإنه (كان يتصرف بهذا الشكل ضد مصلحة البلد التجارية، بمنعه استيراد السلع الرخيصة، كما كان يعرض نفسه لانتقادات الحجاج الذين كانوا يطالبون بدفع أسعار أعلى ثمنا للمنتجات الهندية. لقد كان هدف الملك الوحيد من اتباع هذه السياسة، رغبته في أن لا يفعل شيئا قد يضر بالمصالح البريطانية بأي صورة من الصور.. وفي نفس الوقت لم يكن الملك مرتاح الضمير، لأنه بعمله هذا إنما يسبب خسارة مادية لشعبه بالذات).

لم تكن حرب السعوديين للشيوعية نابعة عن عقيدة بقدر ما تكون مسايرة للغرب في حربه

وهنا بالضبط قال فؤاد بأن إخلاص وولاء الملك للصداقة المديدة مع بريطانيا العظمى تتطلب دليلاً (على تقدير الحكومة البريطانية لهذا الموقف. وذلك بالتعويض عن الخسارة المادية التي تسببها سياسته للبلاد). وحين سأل بيرد فؤاد حمزة عن الشكل الذي تقدر به بريطانيا ابن سعود (أجاب فؤاد بأن الملك يترك ذلك لكرم الحكومة البريطانية، وعبر عن رغبته في تحاشي أي مظهر من مظاهر المساومة، ولكنه يتمنى ان تكون الحكومة البريطانية مدركة تماما بأن سياسته الحالية التي يتبعها خدمة لمصالح بريطانيا العظمى إنما تعود بالربح على الحكومة البريطانية وبالخسارة عليه، وهو - أي الملك - على يقين من أن الحكومة البريطانية ستدرك عدالة مطلبه بأن يعدل التوازن حتى يستطيع البرهنة لشعبه بأن بعض الفائدة قد عادت عليهم من رهانه على صداقته لبريطانيا).

ومارس بيرد مزيداً من الضغط على فؤاد حمزة ليحدد بصورة أكبر ما يطلبه الملك (قال إنه يعتقد بأن عقد معاهدة تجارية، يكون فيها ميزان الفائدة في مصلحة الحجاز، سيفي بالمطلوب، إلا أن الملك كان يرغب بأن يأتي الاقتراح من جانب الحكومة البريطانية). لم

يجب بيرد بسوى وضع آراء الملك أمام مسؤوليه لتقرير ما يفعلونه.

■ وإذا كان فؤاد حمزة قد طلب عقد اتفاقية تجارية لصالح ابن سعود كثمن لتصفية الوجود الروسي، فإن حافظ وهبة طلب إعادة راتب الدعم السنوي الذي كان يبلغ نحو ٦٠ ألف جنيه استرليني. لقد طلب اللورد لويد من القاهرة من حافظ وهبة أن يحدد بالضبط ما يريده الملك السعودي ثمناً لإنهاء الوجود الروسي في الحجاز، وقد تلقى لويد رداً وصفه في رسالة منه الى أوستن تشامبرلن في خارجية لندن في ١٩٢٨/٣/٢٢، بأنه ردّ قصير ومبهم. وكان حافظ وهبة قد أسرّ لمسؤول الإستخبارات في السفارة البريطانية وبصراحة كاملة بأن (ما يريده ابن سعود هو راتب دعم شهري أو سنوي، وأن وضع الملك ضمن واقع الأمور الحالي في شبه الجزيرة العربية يزداد صعوبة، ثم يشرح حافظ الأمر بأن البدو وقبائل نجد يعيشون على الغزو والاقتتال، ولكن هذا انتهى بعد سيطرة الملك على معظم البلاد، ولم يعد مسموحا له أن يهاجم الدول شمالا أو شرقا أو جنوبا، لأن كل هذه الدول واقعة تحت الانتداب أو الاحتلال البريطاني المباشرين.. وهكذا لا بد من فعل شيء لإرضاء العناصر القبلية الجائعة وغير الخاضعة للقوانين.. إن أكثر ما يبقي القبائل خاضعة للنظام هو الهدايا والكرم السخي.. ومن سوء الحظ فإن موارد ابن سعود المالية ضحلة وضئيلة، ومما لا شك فيه أنه يواجه ضائقة مالية كبيرة، ثم أضاف الشيخ منهيا حديثه، بأن راتب الدعم السابق الذي كان يدفع لابن سعود، لن يكلف الحكومة البريطانية وحكومات الانتداب، إلا أقل من النفقات التي يستلزمها نقل القوات والطائرات والسيارات المدرعة وغير ذلك من الإجراءات الدفاعية ضد قبائل نجد الجامحة، والتي يواجه ابن سعود حاليا مصاعب كبيرة في التحكم فيها وضبطها). لكن وهبة (لم يُعطَ - بالطبع - أية تشجيعات بحيث يتوقع أن تجدد بريطانيا دفع راتب الدعم لابن سعود).

خلال هذه الفترة مرض حافظ وهبة وأجريت له عملية جراحية في القاهرة، وفي بدايات عام ١٩٢٩م عاود الإتصال حول الموضوع، وجاء برسالة من الملك الى اللورد لويد المندوب السامي البريطاني في القاهرة، تطالب بتسهيلات ومعاهدة تجارية. نص رسالة ابن سعود (١٣٤٧/٦/٢٦هـ) واضحة صريحة يقول فيها: (إن العديد من الدول الأجنبية منهمكة في الحجاز لطرد التجارة البريطانية وتأمين أسواقنا لصالح تجارتها، وأعظم هذه الدول نشاطاً هم السوفيات.. وكما كنّا قد أعلمناكم في العام الماضي، حاولنا دحر نشاطاتهم.. ومنعهم من تحقيق أهدافهم، على أمل أن تعقد حكومة بريطانيا معنا معاهدة تجارية، بحيث تحصل حكومتنا وشعبنا على بعض المزايا مقابل مقاومتهما للنشاطات السوفياتية، إلا أن الحكومة البريطانية لم تُعْر القضية أي انتباه، ولم تدخل في أية مشاورات معنا. وفي هذا العام.. عاد السوفيات إلى الهجوم، ولا هدف لهم إلا طرد البضائع البريطانية، والحلول محلها ببضائعهم، ليس فقط في الحجاز ولكن في اليمن أيضا، وربما وراء وأبعد من ذلك، ولقد قاومناهم حتى الآن). وأضاف الملك: (نود أن نعرف بكل صراحة ووضوح، ما هو الثمن الذي ستكون الحكومة البريطانية على استعداد لمنحه لنا مقابل حمايتنا للتجارة البريطانية في بلادنا، ومقابل عرقلتنا لتجارة الأقطار الأخرى، وخاصة السوفيات؟ إذا كانت الحكومة البريطانية مهتمة بهذه القضية، فإننا نطلب أن تشرع في مفاوضات معنا.. وإذا لم تكن القضية تهمها كثيرا، فإننا لا نرغب في إزعاجها بأي أمر، إلا إذا كان ذا أهمية بالنسبة لها).

رأى اللورد لويد صعوبة في عقد معاهدة خاصة بابن سعود لا تثير الدول الأخرى بمزاياها الخاصة. واحتمل لويد أن يكون الملك السعودي يريد أمراً آخر له علاقات بثورة الإخوان وضد الأردن والعراق الهاشميين، وهو ربما يبحث عن دعم وتعاطف بريطاني على شكل راتب دعم وأسلحة وذخائر أو الحدّ من نشاطات الأشراف. لكن رسالة ابن سعود رغم وضوحها وجدت غامضة الى حد ما أيضاً، فلربما - كما يقول لويد - كان الملك يحاول اكتشاف إمكانيات تحالف مع الإنجليز أكثر شمولاً. وحين ناقش لويد مع وهبة رسالة الملك في ٣ يناير ١٩٢٨ والمصاعب التي تواجه أية اتفاقية تجارية تقوم على التمييز بين دولة وأخرى، طلب منه (أن يحاول جاهداً في التأكد وبدقة أكبر، مما يدور بخلد الملك ابن سعود).

أيدت الخارجية البريطانية رأي لويد، وطالبت بإيضاحات أكبر من الملك السعودي عمّا يريده. لكن أحد المسؤولين في الخارجية البريطانية أيد تفضيلاً للسعوديين في معاهدة تجارية تستطيع مجرد (التأمين) ضد أية محاولات روسيّة للحصول على معاهدة مع الحجاز تكون في صالح السوفيات. وقد رأى وزير الخارجية البريطانية أوستن تشامبرلين أنه ليس هناك ضرورة للرد على رسالة ابن سعود إلى أن يحصل حافظ وهبة على معلومات إضافية حول الطلب السعودي، وسأل عن رأي وزارة المستعمرات التي ردّ وزيرها المستر اميري بأن إحياء فكرة راتب الدعم ليست مفيدة، واقترح رداً (يطمئن ابن سعود الآن، بأنه إذا ما أخذ بمهمة معالجة الوضع على عاتقه، فسيسر حكومة جلالة الملك البريطاني بأن تتعاون معه، بأن تزوده بكل المعلومات التي يمكن أن تتوفر لديها حول وجود العملاء البولشفيك، أو الأشخاص ذوي الآراء البولشفية المعلنة والمتوجهين إلى الحجاز تحت قناع الحجاج. ونقترح أنه لكي يتخذ هذا العرض أهمية أكبر، يمكن أن يقدم مرفقا باقتراح عقد معاهدة تجارية مع الحجاز).

السوفيات أول من اعترف بابن سعود ملكاً على الحجاز، رغم رجعيته وأوتوقراطيته!

لم يؤيد وزير الخارجية مفردة تزويد ابن سعود بأسماء الشيوعيين حتى يقوم بتصفيتهم! لأن الملك السعودي غير مهتم بالأسماء وإنما بالحصول على المال أو عقد معاهدة تجارية، ثم إن هناك خطر تسريب الأسماء الى القنصلية السوفياتية عبر مستشاري ابن سعود.

الإنجليز: لا لتعيين سفير سوفياتي في جدة

تضخم الخطر السوفياتي في الحجاز في أذهان المسؤولين في خارجية لندن، ومارسوا أقصى ما لديهم من وسائل لإنهاء الوجود الروسي في الحجاز، ولكنهم - ونظراً لبخلهم - لم يحققوا مبتغاهم إلا متأخرين. ووصل التدخل الإنجليزي الى حدّ محاولة منع تعيين سفير سوفياتي جديد خلفاً لحاكيموف. ففي شهر مارس ١٩٢٨م، وصلت معلومات سرية إلى الخارجية في لندن، تفيد بأن الروس يريدون تعيين (ليون إلكونين) قنصلاً لهم في جدّة، يحلّ محلّ حاكيموف، وعلى الفور أوصلت معلومات عن السفير الجديد الى ابن سعود عبر القنصل بيرد في الخامس من مارس ١٩٢٨م، مرفقة بطلب الى القنصل بأن يضغط على الحكومة السعودية لتمنع بقوة قبول اعتماده، وأن يحذر ابن سعود من قبول ذلك.

أبلغ بيرد مسؤول الشؤون الخارجية السعودية بالموقف، وحذره بأن الحكومة البريطانية وكذلك المصرية (التي تديرها بريطانيا!) ستنظر بعين التخوف والقلق من تعيين الكونين. ثم قدّم بيرد مذكرة مكتوبة جاء فيها: (لي الشرف بأن أؤكد مضمون الحديث الذي أجريته

مـع سعـادتكم، ومـع مساعد وزير الخارجيـة، حـول موضـوع ليـون إلكونين. لقد كان هذا الشخص عضواً في عصابة شيوعية في القاهرة، وقد أمضى فترة في السجن في مصر، حيث أطلق سراحه عام ١٩٢٧م. وقد علمنا من مصادر موثوقة بأن الكونين سيعين في المعتمدية السوفياتية في جدّة. كما تلقيت تعليمات من حكومة جلالة الملك (البريطاني) بأن أنقل هذه المعلومات إلى سعادتكم، وأن أبين بأن حكومة جلالة الملك، وحكومة مصر، تنظران إلى هذا التعيين بعين التخوف والقلق).

أحدثت الرسالة استياء لدى بعض مستشاري ابن سعود، ولكن الملك لم يبد أي شيء من ذلك.. بل بعث بوزير الخارجية ـ العراقي الأصل ـ عبد الله الدملوجي، ليتفاهم مع القنصل حول موضوع رسالته وما أحدثته من استياء، نظرا لأن الإنجليز يريدون أن يفرضوا إرادتهم على شعب الحجاز، فأنكر القنصل أن يكون الهدف هو فرض الإرادة!. وبعد اللقاء كتب الدملوجي رسالة ردّ إلى القنصل، بعد ان تفاهم معه على صيغتها!

يشـرح الـقـنصـل بيرد ذلك في رسـالـة كـتـبـهـا لـرؤسـائـه في ١٩٢٨/٦/٢، حيث جاء: (حضر الدكتور الدملوجي لمقابلتي في ٢١/ ٥/ ١٩٢٨، وأخبرني بأن مذكرتي قد تداولها مستشارو الملك بحضوره، وأنها أثارت قدراً لا بأس به من الاستياء. عبّرت عن دهشة كبيرة، لأنني لم أستطع أن أدرك ما هو وجه الاستياء في هذه الحالة. رد الدملوجي بالقول: إن الجملة الأخيرة يمكن فهمها على أنها أوامر إلى حكومة الحجاز بأن ترفض استقبال الكونين. ثم قرأ علي بيرد صيغة الرد المقترحة، والتي تؤكد حق الحكومة الحجازية، بأن تسمح لالكونين بالنزول، وأن تطرده فقط إذا كانت تصرفاته تبرر مثل ذلك الإجراء. قلت له إن إصدار الأوامر إلى حكومة الحجاز، أمر غير وارد. كل ما في الأمر أن الكونين شخص غير مرغوب فيه، ومن ثم فإنه من الواجبات البديهية على حكومة صديقة أن تحذر ابن سعود من الأخطار المحتملة نتيجة وجوده في الحجاز؛ وأن جملة: إن حكومة جلالة الملك تنظر بتخوف، إنما تستعمل في ظروف مشابهة في مذكرة توجه إلى أية قوة عظمى، وإنني عاجز عن فهم كيفية إمكان تحذير وديّ من بريطانيا أن يفسر كما يدّعي أنها قد فسر به، كمحاولة لفرض اتخاذ إجراء محدد أو معين. رد الدملوجي قائلا: إن الحجاز أمة في ريعان الشباب، ذات هضم ضعيف، وأن المذكرة التي لا شك أن فرنسا أو إيطاليا تستطيع هضمها بسهولة، هي أقسى من أن تهضمه معدة الحجازيين. رجوت الدكتور الدملوجي إلا يكون بهذه الدرجة المفرطة من الحساسية). إقتنع الدملوجي بحجج بيرد ووعد بمناقشة موضوع الكونين مرة أخرى مع مستشاري الملك قبل أن يبعث برده.

أما الردّ السعودي فوصفه بيرد بأن لا يعني إلا القليل، وربما لا يعني شيئاً. فمذكرة الردّ السعودية وصفت صياغتها بأنها (شاذّة وغير متّزنة) فقط لأنها لم تستجب للضغط البريطاني. ومع هذا قال بيرد بـتـحـدٍّ: (إنـنـي واثـق تمام الثقة بأن حكومة الحجاز سترفض السماح لهذا العتي غير المرغوب فيه، أو لأي سيء سمعة آخر، أن يشغل منصبا في الحجاز). نصّ الرد السعودي كان مؤرخاً في ١٩٢٨/٥/٢٥، وجاء فيه: (حول موضوع الروسي المدعو ليون إلكونين، لي الشرف بأن أبلغ سعادتكم بأنني قرأت مذكرتكم المذكورة أعلاه، وإنني أشكر سعادتكم لتقديم مثل هذه المعلومات. إلا أن حكومتي لا ترى من المناسب في الوقت الحالي، أن تتخذ أي إجراء ضد الرجل المذكور حتى يتوفر البرهان ـ حين يأتي إلى جدة ـ على أنه يستخدم موقعه الرسمي لأغراض غير قانونية).

وكـان الـقـنصـل بيرد، وحين علـم بـقـرب وصـول سـفـينـتين سوفياتيتين الى جدة، رأى من المناسب أن يذكر الدملوجي بتعهده بطرد ومنع أي سفينة روسية أو أفراد غير مرغوب فيهم من القدوم إلى جدّة. ولكن تبين أن إلكونين لم يكن على ظهر أي من السفينتين اللتين حملتا حجاجاً وأفرغت أكياساً من الدقيق والسكر، في وقت استعد فيه حاكيموف لمغادرة جدّة. المذهل في كلّ هذا، أن معلومات الإنجليز تبيّن خطؤها، وأن الشخص المعيّن مكان حاكيموف هو ناصر توراكولوف الذي لم تتوفر معلومات عنه لدى الإنجليز.

إن الحساسية السعودية كما اكتشفها بيرد، لم تكن إلاّ لدى بعض مستشاري الملك العرب الذين كانوا أكثر قومية من الملك السعودي نفسه، كفؤاد حمزة. ورأى بيرد أن بعضاً من مستشاري الملك دائبو البحث عن مبرر للهجوم على بريطانيا بحجة استقلال الحجاز، وعلى حرية التصرف بشأنه. ثقة الإنجليز كانت مطلقة في صداقة وولاء ابن سعود لهم، ورغم علمهم التام بأن المستشارين الذين يحوطونه، حتى ولو كانوا يرغبون وبشكل مطلق في إقامة علاقات مع الروس، فإن هؤلاء لن يؤثروا على قراراته. كان الإنجليز يتابعون بدقة الصراع بين مستشاري الملك، وتأثير ذلك على الوجود السوفياتي في الحجاز، مع أن كل المستشارين يؤمنون بشكل مطلق بالعلاقات مع بريطانيا وتوثيق الصلة بها؛ ولكن كان هناك بعض الشك في يوسف ياسين وفؤاد حمزة في أنهما يدفعان الملك لتوثيق العلاقات مع روسيا. ولذا تجد أن استقالة الدملوجي الموالي الأكبر للإنجليز ترتبط مباشرة بالعلاقة مع الروس، بسبب صعود نجم من سُمّوا بالعصبة السورية.

حاول ابن سعود بيع الوجود الدبلوماسي السوفياتي للإنجليز، مقابل راتب شهري أو معاهدة تجارية

أما المصري حافظ وهبة، الذي بدأ نجمه يأفل لصالح السوريين فقد فتح قلبه لأحد موظفي الممثلية البريطانية في ١٩٢٨/٩/١٠، وعبر عن رأيه بأن النفوذ السوري بالغ الضرر والإساءة لابن سعود والحجاز، وهو يعتقد أن المستشارين السوريين يمارسان الضغط على ابن سعود كي يعقد معاهدات مع روسيا السوفياتية، ومع تركيا.. وهي معاهدات يعتبرها الشيخ حافظ عديمة الجدوى والفائدة بالنسبة للحجاز، ومقدر لها أن تعزل وتبعد الحكومة البريطانية.

تضخيم الخطر الشيوعي في الحجاز

■ هل هناك خطر سوفياتي يستحق كل هذه الضجة البريطانية؟!

يبدو أن القنصل البريطاني في جدة كان على دراية تامة بأبعاد الوجود السوفياتي في الحجاز ونشاطاته، ولذا كانت تقاريره أقرب إلى الحقائق من ملاحظات المسؤولين القابعين في لندن، والتي تتسم بالمبالغات الفجة، والتي تصور الوجود السوفياتي وكأنه بعبع كبير ومخيف. الإستثناء من كل هذا، هو لـ ج. رندل، أحد العاملين في الخارجية، القسم السعودي. ولأن القنصل البريطاني في جدة كان أكثر قربا من الأحداث في الجزيرة العربية، لذا ترى أن الكثير من تقاريره تحاول أن تهدئ من مخاوف المسؤولين في خارجية لندن تجاه الخطر الروسي، وفي أحيان كثيرة يرد فيها على المبالغات في التقارير التي تصل إلى هناك.

حين وقعت ثورة الإخوان عام ١٩٢٨، حاول كبير المعتمدين البريطانيين في عمّان الربط بينها وبين الروس، وكأن الثورة

الإخوانية ثورة شيوعية! وقد سأل هذا بيرد في جدة: هل تستطيع تـأكيد الخبر القـائل بـأن المعتمد السوفيـاتي في جدة على اتصال مستمر بـابن سعود عن طريق المراسلة، وأن نشاطاته الحالية ليست معدومة الصلة بالوضع بين العراق ونجد، والذي تأثر بسبب هجوم (الإخوان) الذين يشكلون العمود الفقري لجيش ابن سعود على الحدود العراقية.

وفـهـم بيرد جـهـل صـاحـبـه فـرد في ٩ أبـريـل ١٩٢٨: (إن كل المعلومات التي بحوزتي تميل إلى إثبات أن المعتمد السوفياتي بعيد كل البعد عن ودّ ابن سعود الذي ـ من جملة الأسباب العديدة ـ عبَّر عن استيـائـه لكون عـامـل منـاجـم سـابق هـو الذي يقـوم بـدور المعتمد الدبلوماسي)! وأضاف: (لا أعتقد أن للبولشفيك أي تأثير على ابن سعود؛ فأهدافهم المعلنة وغير المعلنة تتعارض تعارضا مباشرا مع مصالح الملك والبلاد. أما أن يكون حاكيموف على علاقة بـابن سعود عن طريق المراسلة.. فأمر محتمل، والمعتمدون الأجانب يخاطبون الملك مباشرة عن طريق المراسلة حول القضايا الهامة، وليس وزارة الخارجية، التي تنحصر مهامها ـ خاصة حين يكون الملك في الحجاز ـ حصراً شبه كامل في قضايا روتينية. فإن يكون المعتمد السوفياتي على علاقة مراسلة بـابن سعود.. فذلك لا يقدم دليلا على أن موضوع المراسلة غير مناسب، وأنا لا أعتقد شخصيا بـأن الأحداث التي وقعت مؤخراً في نجد ـ ثورة الإخوان ـ لها أي علاقة من قريب أو بعيد بالدعاية ونفوذ السوفياتيين). أيد ج. رندل بيرد ليثبت الرأي القائل (بـأن الـدعـايـة السـوفيـاتيـة في الحجـاز ليست مخيفة بالقدر الذي صورت به حتى الآن).

وقبل هذا في مايو ١٩٢٨، التقى القنصل بيرد بكابتن سفينة بريطاني كان هو الآخر مشبع بالمخاوف من النفوذ السوفياتي وأعدّ تقريراً بذلك! فبيّن بيرد ما وصفه بـالمبالغات الكبيرة خاصة وأن (كل عناصر المعتمدية السوفياتية في جدة لا يتجاوزون الستة، بمن فيهم الطبيب. أقررت بـأن مخاوفه من احتمال تلوث الحجاج بالدعاية السوفياتية أمر طبيعي، ولو أنه وللعديد من الأسباب أقل خطورة مما يبدو).

■ مدير مخابرات حكومة الهند، الدكتور (بيتري) بعث في السادس من ديسمبر ١٩٢٨م، تقريرا سريا عن النشاطات المبالغ فيها والمزعومة في الحجاز من قبل السوفيات، بعثه إلى القنصل بيرد في جدة، يطلب منه إبداء رأيه حوله. فكتب إليه القنصل بيرد رسالة بتاريخ ٢٤ فبراير ١٩٢٩م ردا لا يختلف عن آرائه التي أبداها سابقا، وقال إنه (لم يحصل أيٍ سبب يدفعني إلى تعديل آرائي). وأضـاف: (ستدركون أنني لا أرى أن السوفيات سيحصلون على موطئ قدم في هذه البلاد يمكن أن يضر بالمصالح البريطانية، فالحكومة الحجازية لا مصلحة لها.. كما لا مصلحة لنا تماما، في رؤية مكة تتحول إلى مركز للتآمر البولشفي).

ثـم يـحـدد بيرد مصدر الخطر، في المطوفين الـذيـن وصـفـهـم بـ (الأوغـاد) و(الأنـذال) و(عديمي الضمير) و(المجردين من كل قيمة أخلاقية)؟! يبرر بيرد أوصافه غير المتزنة هذه (لأنهم يعملون تحت ستـار الـديـن لاسـتـغـلال مـوسم الحج والحجـاج لإرضـاء أطمـاعـهـم وبـأقصى طاقتهم). فإذا كان ذلك صحيحا، فهل استغلالهم للحجاج يضر مصالح الإنجليز؟!

الصحيح أن الحجاج الهنود حملوا قضيتهم الى الحجاج الآخرين للتعريف بها وتبيان مساوئ الإستعمار البريطاني. هذا هو كما يبدو سبب تحامل بيرد ضدهم. يقول: (إن الكثير من الحديث المعادي لبريطـانيـا وللغرب، يـجري تداولـه مـن قبل الحجـاج الـهنود، الذين يحملون آراء غير مرغوبة). لكنه ينبه الى المبالغات التي ترسم صورة صارخة الألوان تكفي لإعطاء انطباع خاطئ. وأوضح بيرد أن بعض الأسماء الهنود التي ذكرتها الإستخبارات لم تكن تتآمر مع ابن سعود ضد بريطانيا، وإنما هم رسل الملك يحاولون جاهدين أن يتقربوا من الأشخاص الذين يدافعون عن قضية ابن سعود في الهند قبل أي شيء آخر.. وهـم بـذلك يـجتذبـون أعدادا إضـافيـة مـن الحجـاج، وبـالـتـالي عائدات أكبر إلى الحجاز. وحقق بيرد في الإسماء التي وردت من الـهـنـد فـاكـتشف أن لـيس هـنـاك مـا يدل عـلى قيـام أي مـنـهـم بـأيـة نشاطات يمكن الاعتراض عليها خلال موسم الحج الحالي.

إذن أين هو الخطر؟ يتابع بيرد: (أن خطر الوضع لا يكمن في الآراء التخريبية التي قد تنتشر بين جماهير الحجاج في الحجاز بـواسـطـة المـعـتـمـديـن السـوفـيـات.. ولا مـن أبـنـاء بـلادهـم، ولا من الأحاديث المعادية لبريطانيا والتي يتداولها بعض السياسيين غير المرغـوب فـيـهـم، وإنما مـن الـنـشـاطـات الـتـي يمكـن أن يمـارسـهـا المطوفـون. فـمـرشـدو الحجـاج هـؤلاء هـم في معظمهـم من الأوغـاد والأنذال، عديمي الضمير والمجردين من كل قيمة أخلاقية، والذين يعملون تحت ستار الدين لاستغلال موسم الحج والحجاج لإرضاء أطمـاعـهم وبـأقصى طـاقتـهم. وقد أدت الأنظمـة الدقيقة والشديدة، المعمول بها في الحجاز، إلى إنضاب مواردهم تقريبا من العائدات والأربـاح.. وقد يحـاولـون ـ نتيجة ذلك ـ البحث عـن وسـيـلـة لـزيـادة دخـلـهـم مـن المصـادر السوفياتية)!

هدد الإنجليز والهولنديون آل سعود من تسييس (الحجّ) ضد الإستعمار الغربي في الهند وأندونيسيا

ويوصي بيرد: (حين يزور ـ المطوفون ـ الهند بعد موسم الحج ليدوروا ويجولوا بحثا عن حجاج الموسم القادم، فإنه يتوجب أن تراقب تحركـاتـهـم بـحـرص وعـنـايـة كبيرة جداً. من الـواضـح جدا أنـه يستحيل ـ نظراً للطبيعة الدينية للحج ـ منع غير المرغوب فيهم من الهنود من زيارة الحجاز، كما لا يمكن ـ إلا في حالات غير اعتيادية ـ منع المطوفين من زيارة الهند.. ويستحيل أيضا على هذه المعتمدية تتبّع عن قرب تحركات جميع المشبوهين. إن نتائج أية دعاية ضد بريطانيا في الحجاز، أو أية نشاطات غير مرغوب فيها قد يقوم بها المطوفون، يمكن الحكم عليها أفضل حكم في الهند نفسها، حيث يمكن مراقبة غير المرغوب فيهم من العائدين، وكذلك الجوّالين الباحثين عن حجاج مراقبة دقيقة محكمة. فإذا ثبت نتيجة هذا الأشراف.. وهذه المراقبة، أن الحجاز يستخدم فعلا كمركز للدعاية المضادة لبريطانيا، فإنه يمكن عندها الاتصال رسميا بحكومة الحجاز بهدف اتـخـاذ إجـراءات قـويـة، والـتـي تـكـون الحكومـة السعـوديـة ملـزمـة بـاتخاذها، بموجب المادة الثانية من معاهدة جدّة).

أيّاً يكن موقف المستشارين كما موقف البريطانيين، فإننا كلما حاولنا أن نفهم من أين يكمن الخطر على المصالح البريطانية في الخليج والحجاز من قبل الروس، فإننا نعجز عن تحديده، بل إن المسؤولين البريـطـانـيين الكبـار عـاجزون عن تحديده أيضـا.. ربما لسبب واحد، هو أنه ليس هناك خطر أساسا، وبالتالي فالحديث عنه مجرد ثرثرة وخيال وتخوف زائد عن حدّه.

جدل حول الثمن: صفقة السلاح المستعمل

في وثيقة بريطانية مؤرخة في ١٩٢٩/٥/٢٣ وحملت عنوان

(تقديم المساعدات لابن سعود مقابل سياسته المعادية للبولشفيك)، كتب المستر غلندور جب من وزارة الخارجية مذكرة هامة حول الوجود الروسي في جدة تناول فيها القضية حاضرا ومستقبلا، وتأثيرها على العلاقات مع ابن سعود والروس. جاء فيها: (باستثناء إبلاغنا لابن سعود أننا على استعداد لأن نعقد معه معاهدة تجارية، فإننا لم نتمكن من الاهتداء إلى أيّ رد بالمقابل يكون مغرياً له بحيث نعرضه عليه. لا بدّ أن نتذكر أنه بمجرد أن يدرك أن المعاهدة المقترحة لن تكون إلاّ شيئاً شبيهاً بالمعاهدة البولندية/ الهندية، فإنه لن يعتبر حتى هذه المعاهدة شيئا ذا قيمة وذا بال، أما راتب الدعم ـ وهو ما يفضله جلالته بدون شك ـ فإنه غير وارد بالمرة). وأضاف: (أعتقد أن علينا أن ننظر بجدية واهتمام فيما إذا كان ابن سعود يلعب علينا، وفي هذه الحالة نستطيع الرد على لعبته بالاستمرار في الموقف الحالي الذي نتبعه، وبالتالي نقترح معاهدة لا تضر أبدا في نهاية المطاف، وهناك فرصة حقيقية في احتمال:

أ ـ سماحه للبولشفيك في أن يبيعوا شحنات سفنهم في جدّة وفي مناطق أخرى.

ب ـ عقده معاهدة تجارية أكيدة معهم على غرار تلك التي عقدها الإمام يحيى إمام اليمن.

جـ ـ إطلاق يد العملاء البولشفيك والمحرضين في الحجاز، حيث يمكن أن يكونوا في وضع يستطيعون فيه تلويث الهند والشرق عن طريق تضليل وإفساد الحجاج القادمين إلى مكة).

وتابع: (من الصعب أن يكون المرء جازماً في أي هذه الاحتمالات.. دونما دليل يستند إليه. صحيح أن سياسة ابن سعود التي يمارسها مؤخراً ـ وبكلّيّتها ـ إنما هي مبنية على العلاقات الجيدة معنا؛ وتنفيذا لهذه السياسية، تحاشى الصدام مع أعدائه التقليديين في شرق الأردن والعراق، وقضى على ثورة خطيرة قام بها رجال قبائله ـ ثورة الإخوان ـ واستخدام ملاحين جويين بريطانيين لإعادة تنظيم قوته الجوية، فاستحق ـ بصورة عامة ـ استياء القوميين المسلمين الشديد في الهند وغيرها. ونحن من جهتنا، قدمنا له ما استطعنا من المساعدات والدعم المعنوي، واعترفنا بلقبه الجديد كملك، وكذلك اعترفنا بحقه في ضمّ عسير إلى دولته. ونحن الآن نستعد لمواجهة رعاياه المتمردين في الكويت من العجمان. كلانا يستفيد ـ إذن ـ من العلاقات الودية، وإن أي إساءة لهذه العلاقات.. ستكون أيضا مصدر ضرر متبادل. وإضافة إلى ذلك.. فإن أية مبادرة للتقرب من البولشفيك قد يقوم بها ابن سعود، ستعني ـ بكل بساطة ـ إنقلاباً في السياسة التي ظل يتبعها حتى الآن).

ومضى جب في تقييمه للإحتمالات فقال: (نحن نعلم: أنه سيكون في مصلحة ابن سعود الشخصية والآنية ـ ولكن ليس في مصلحة غالبية تجار جدة ـ أن يسمح للبولشفيك بإنزال بضائعهم في الحجاز. وأن السوفيات يقومون في هذه اللحظة بجهود حثيثة لعقد معاهدة تجارية معه، يبدو أنهم يعلقون أهمية كبيرة عليها. ومن الواضح أيضا أن أية معاهدة مع الاتحاد السوفياتي ـ بغض النظر عن مزاياها وفوائدها التجارية ـ سيكون من آثارها دعم وزيادة هيبة ابن سعود بين كل العناصر المعادية لبريطانيا في الشرق الأوسط، ويمكن الافتراض حينها بأن شبه الجزيرة العربية بدأت تصبح أكثر استقلالا، وأن النفوذ البريطاني في الشرق الأوسط قد تلاشى. من الممكن أن يجد ابن سعود ـ بعد عقد مثل هذه المعاهدة إذا تمت ـ صعوبة في ممارسة تلك المراقبة الدقيقة والحازمة للمعتمدين البولشفيك، وهي المراقبة التي ما زال يمارسها حتى الآن).

ورأى جب أنه من غير الحكمة إسقاط مثل هذه الإحتمالات، وأوصى بالإحتياط ضدها إن أمكن (بتقديم شيء ما لابن سعود، يكون أكثر إغراء من مجرد اتفاقية تافهة، ومن استمرار نياتنا الحسنة تجاهه). وأضاف بأن الملك في أمس الحاجة الى الأسلحة والذخائر (كي يستخدمها ضد قبائل العجمان المتمردة) وأوصى بأن لا تستخدم مسألة الأسلحة مقابل مكافحة السوفيات فذلك يخلق الإنطباع (بأننا نتخلى عن ابن سعود وقت الشدّة. بل علينا أن نبذل كل جهد مستطاع لإيصال الأسلحة إلى ميناء العقير بأقل تأخير ممكن. لكن لا بد أن نتذكر بأن حكومة الهند تطالب ابن سعود حالياً بدفع ما لا يقل عن ٣٤ ألف جنيه ثمناً لألفي بندقية مستعملة، ولمليون طلقة ذخيرة. إن هذا الثمن باهظ، يُطالب به شخص مقابل مواد مستعملة، ربما لا يكون بالإمكان التخلص منها بأي طريقة أخرى، فكيف بشخص نحن تواقون لمساعدته).

واقترح جب اللعب على هذا الدين، بالتنازل عنه وهناك احتمال قوي بأن يقبل ابن سعود ذلك، وحتى لو لم يقبل أن يكون ذلك ثمناً لبيع الروس، فإن حكومة الهند يجب أن تتخلى عن دينها أو جزء منه، على أن يدفع ابن سعود نفقات المواصلات فقط. أو أن تسلم حكومة الهند ألف بندقية من مخازن العتاد في فلسطين مقابل ما أعطته ابن سعود. وإذا ما تمت الموافقة على هذا الإقتراح، رأى جب أن يبلغ ابن سعود شفوياً وفي أذنه برسالة تفيد بأن (الحكومة البريطانية يسرّها أن تكون مصدر عون ومساعدة لجلالته، من أجل صداقتهما الطويلة، وأنها قد أعطت إشارة البرهان عن حسن نواياها، بالتنازل عن مبلغ كبير من المال.. ولكن، وكما يدرك جلالته، فإن الحكومة البريطانية، لا تستطيع أن تضمن تدفق مثل هذه المساعدات في المستقبل القريب إذا ما دخل في علاقة وطيدة مع أية دولة أخرى، أو إذا ما قدم التسهيلات التجارية لأية دولة كبرى أخرى.. بما يسبب ذلك من ضرر على التجارة البريطانية، أو الهندية/ البريطانية في الحجاز).

ابن سعود منع دخول البضائع السوفياتية المنافسة حفاظاً على مصالح بريطانيا التجارية

هذه المذكرة.. بل هذا التقييم الشامل الذي قدمه غلندور جب جهد ذكي حصيف، ورغم الحجج الجيدة التي قدمتها، رفضت لأسباب بريطانية بحتة. ج. رندل في مكتب وزير الخارجية البريطاني يؤيد ما قاله جب، ويقول: (إذا استطعنا تقديم بادرة سخية في هذا الوقت، فإن ذلك سيكون تصرفا خير النتائج، وسيمثل قطعا لشوط لا بأس به، على طريق إعطاء ابن سعود الرد المقابل لسياسته المعادية للروس). ورغم اعتقاده بأن سعر السلاح المصدر لابن سعود غال، إلا أنه خشي من مساءلة في البرلمان البريطاني إن تم التنازل عن الدين، وكأنه إعادة لراتب الدعم القديم الذي قطع عام ١٩٢٤. كما خشي رندل من إثارة الرأي العام الهندوسي أو الإسلامي المعادي بقوة للوهابية. وتابع (إنني لا أستطيع أن أتصور كيف تستطيع الحكومة أن تتعهد بتقديم هذا المبلغ عشية الانتخابات، وأن تتوقع موافقة البرلمان). ورغم موافقته بشكل كامل لمذكرة جب، فإنه وصل الى النتيجة المرّة: (لا أستطيع إلا الاعتراف ولو مترددا، بأن هذه الاقتراح الذي يطرحه المستر جب هو اقتراح غير عملي). وأيد وزير الخارجية الأمر، بأن الإقتراح غير عملي رغم حصافة المقترح، ووعد بأن يسأل حكومة الهند ما إذا كان يمكنها أن تقدم امتيازاً من نوع ما للملك السعودي.

نجد.. منبع الفتن وقرن الشيطان

هناك الكثير من الموضوعات الهامّة التي تطرح للنقاش في مواقع سعودية على شبكة الإنترنت، حيث يفصح المتحاورون عن بعض من مكنوناتهم الداخلية وضمن هامش معقول من الحرية، بحيث يمكن رصد هذه الحوارات واعتبارها بشكل عام مؤشراً على اتجاهات الرأي العام السعودي، بأكثر مما تعبر عنه الصحافة والإعلام المحليين.هناك على شبكة الإنترنت، يقوم أفراد ممن يمكن اعتبارهم منتمين الى الطبقة الوسطى العريضة في المملكة بالتعبير عن اتجاهاتهم وميولهم وآرائهم. هؤلاء في مجملهم وكما يبدو من الحوارات العديدة مسكونين بأنواع مختلفة من الهموم الجمعية، لم تجد لها متنفساً في الإعلام المحلي، ولا يمكن طرحها إلا بكثير من الحذر حتى لا يحظر الموقع محلياً، مع أن أكثر المواقع الحوارية السعودية أصبحت محظورة.

ما يهمنا هنا، هو استجلاء للآراء المختلفة بين السعوديين في قضايا وطنية مصيرية بالغة الحساسية. وسنقوم في كل عدد بعرض قضية من القضايا، وآراء المختلفين، الذين لم يجدوا إلاّ مواقع الإنترنت لطرحها على بساط النقاش. الموضوع التالي منقول عن منتدى طوى:

http://bb.tuwaa.com/showthread.php?s=&threadid=22974

يحتد الجدل بين كثير من الإخوة حول المقصود بكلمة (نجد) الواردة في الأحاديث النبوية الشريفة. هذا الجدل يصل أحيانا بين الاخوة المتعارضين إلى حد الشتم والسب للمخالف والمعارض خصوصا عندما يشير أحدهم أن المقصود بـ(نجد) هي (نجد) السعودية وليس كما يريد هو بأن المقصود بها (العراق). الحديث نصه في صحيح البخاري: (حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا حسين بن الحسن قال حدثنا ابن عون عن نافع عن ابن عمر قال: قال اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا. قال: قالوا وفي نجدنا؟ قال: اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا. قال: قالوا وفي نجدنا؟ قال: قال هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان). في رواية أخرى: (حدثنا علي بن عبد الله حدثنا أزهر بن سعد عن ابن عون عن نافع عن ابن عمر قال: ذكر لهم بارك لنا في شأمنا اللهم بارك لنا في يمننا قالوا يا رسول الله وفي نجدنا؟ قال: اللهم بارك لنا في شأمنا، اللهم بارك لنا في يمننا. قالوا يا رسول الله وفي نجدنا؟ فأظنه قال في الثالثة: هناك الزلازل والفتن وبها يطلع بث أعلاه هو محور الجدل وهو الذي خضعت تفسيراته للصراع المذهبي بين الشيعة والسنة، وتظل الحقيقة تراوح بين هنا وهناك.

عرفت نجد قديما بمسمى اليمامة وهي في وسط شبه الجزيرة العربية وأصبحت تشمل في الوقت الحاضر منطقة الرياض والمدن التابعة لها. آن الأوان أن نعرف وندرك قبل فوات الفوت أن الفتن سوف تخرج من منطقة نجد تحديدا، فهي قرن الشيطان كما وردت الأحاديث بذلك، ومن هنا يجب الاستعداد بالوقاية من هذه الفتن وعدم جعل ارض نجد في الوقت الحاضر أرضاً خصبة تسرح وتمرح فيها الفتن، وتنمو فيها بذور التطرف والتعصب المذهبي المقيت، ما يشاهد اليوم من فتن في أرض نجد في السعودية يجعل العاقل يؤكد جازما ما سبق قوله، أن المقصود بنجد هي (نجد السعودية) وليس غيرها. إن إلقاء لمحة تاريخية سريعة على تاريخ نجد الحديث تؤكد ما ذهبنا إليه حيال الموضوع.

سوف أشير فقط إشارات عابرة عن الفتن التي عصفت بنجد والتي أتت بعد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، بل نكون اكثر تحديدا منذ تأسيس الدولة السعودية الثالثة. حينما نرجع بذاكرتنا ونراجع تاريخ نجد منذ محاولة الملك عبد العزيز توحيد المملكة العربية السعودية نجد أن البداية كانت بخروج حركة الإخوان بتطرفها الديني وعصيانها على الملك فترة توحيد المملكة. فهي حركة حملت تطرفا دينيا مقيتا، وفكرا مغلقا بكل ما تحمله الكلمة من معنى. مكن الله الملك عبد العزيز من القضاء على الحركة وشرذمة أهلها لا بالحجة والإقناع وإنما بحد السيف، وبالرغم من ذلك بقيت الفتنة ولم يقض عليها.

تلت هذه الفتنة بفترة طويلة نسبيا خروج حركة جهيمان العتيبي المتطرفة دينيا التي تم القضاء عليها وتم القصاص من زعمائها ومدبريها ومرتكبيها، ولكن الفتنة لم تنته عند هذا الحد، بل بقيت في نجد. بقي صدى هذه الفتنة الخطيرة يرسم شكلا معينا على اتباعه وتيارا مؤدلجا دينيا وفكريا خضعت الحكومة له فانعكس على أجهزة إعلامها وصحافتها. من لاحظ التغيير الذي حدث في أجهزة الإعلام في المملكة بعدها يعرف أي تأثير لهذه الفتنة على الحكومة والنظام السياسي بل بقي هذا التأثير واضحا وحتى يومنا هذا، كان من نتائج هذه الحركة خروج مظاهر وأشكال دينية على المجتمع لم نكن نألفها في أجدادنا ولم نشاهدها في آبائنا، واصبح المتدين في نظر الجميع هو من يملك هذه الصفات والمزايا وهذا الشكل المعين الذي يرتسم بهيئة معينة وطريقة كلام مميزة.

انتهت حقبة وفتنة المظهر والشكل الخارجي لندخل في فتنة اكثر عمقا: النشرات والأشرطة الدينية المحرضة على الدولة وموجة التكفير والعلمانية التي وصم الكثيرون بها من أناس يشهدون أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله. صدرت هذه الأوصاف من علماء شباب بزغ نجمهم بين جموع الشباب ولقيت قبولا منقطع النظير في الجامعات وغيرها. استخدم هؤلاء الشيوخ الأكاديميون وسائل شرعية وغير شرعية من خلال توزيع أشرطتهم ونشراتهم مما زاد إعجاب الشباب بها لكونها غامضة تجابه الدولة ولا ترضى عنها ولخروجها عن نمطية الطاعة العمياء التي تروج لها هيئة كبار العلماء. ولم تكن تلك المحاولات لتنجح وتلقى لها صدى وقبولاً، لولا جرأتهم وقتها على الدولة ووزرائها وأجهزتها الحكومية المختلفة.

صاحب تلك الفترة وما بعدها التعدي صراحة على ولاة الأمر والتحريض عليهم، ولم تكن المظاهرات والاحتجاجات في بلاد نجد وموجات التجاذب والتنافر بين تيارات المجتمع وطوائفه إلا تكملة وشكلاً آخر من الفتن لكنها أصبحت اكثر اتباعا واختلط فيها الحابل بالنابل الصالح بالطالح. وحتى تكتمل صورة الفتنة بشكل أدق واكثر وضوحا، كانت الجامعات مسرحا للتناوش وتصارع

الأفكار بين أعضائها وكوادرها، دخلت وسائل أخرى مساعدة في هذه الفتنة المحاضرات والندوات حتى أن الطلاب أنفسهم انقسموا على أنفسهم. حتى مناهج الدراسة الجامعية وما يدرس فيها وما يترك تدريسه خضعت لهذه الطائفية، هذه الفتنة ألقت بظلالها على الدكاترة والمحاضرين في الجامعات. هذا المفكر أو العالم أو الشيخ أو ذاك خضعت كتبهم للتمحيص والتدقيق. ونظرا لعدم تكافؤ الفرص بين التيارات المختلفة، وغياب الوسيلة والطريقة التي يمكن بها تقييم هؤلاء الأشخاص المتحدثين باسم الله، انتصر أصحاب صكوك الغفران الذين يرون أنفسهم متحدثين باسم الله.

كانت الطامة والفتنة الاخرى ما يسمى العلم الشرعي، الذي كرس إعلاميا بشكل لا تخلو وسيلة إعلامية منه ولا كتيب ولا نشرة من الحديث عنه. لم تكن الجامعة وحدها اللاعب الوحيد في الفتنة وزخم الطلبة الملتحقين بما يسمى العلم الشرعي المبني على أحادية النظرة وانتقائية الأدلة، فلقد ساهمت المكانة الاجتماعية والنظرة الوقارية لأصحاب العلم الشرعي أن تجعل ناقصي الأهلية يلتحقون بهذه الجامعات الإسلامية ويخرجون معززين مكرمين برسائل دكتوراه في المسح على الخفين ينال بعدها شرف الفتيا وشرف تصدر المجالس وكرم الدولة الحاتمي معهم. إنها فتنة أخرى أخرجتها لنا الجامعات بما يسمى طلبة العلم الشرعي، ليس كل من تخرج منهم أدرك هذا الشرف الذي لم ينله سوى من كانت له القدرة على قراءة الأمور بشكل لا يخلو من مكر السياسيين وخبث الطامحين. النتيجة كانت: قاعدة صلبة من التأييد من كبار العلماء لهم، وطريق ممهد لشرعية دينية أقوى واعم بين أفراد المجتمع كافة. المجتمع السعودي اغلبه متدين بطبعه وكان الهدف تعميق وترسيخ المذهب الوهابي الذي يجعل لحوم العلماء مسمومة لمن أراد أن ينتقدها أو يخالفها.

الوسيلة المثلى لتكريس هذه الفكرة في اذهان الناس جميعهم كانت بمساهمة هؤلاء الخريجين بحكم توليهم كثير من زمام الأمور في الدولة، حيث عملوا على إجراء تغييرات في إعداد مناهج التعليم ونوعية القائمين على المدارس الحكومية نفسها وأدلجتهم وفقا لنظرة قاصرة بأنهم الأفضل لتربية النشء لمجتمع إسلامي فاضل، وسعيا لإرضاء كبار اللحوم المسمومة كما يحب أن يسموا أنفسهم وأطرافا مقربة مناطقيا وعائليا، فكان الانتصار الساحق لفكرهم المنغلق. ومع انتشار حلقات المساجد وما يبث فيها من خير أو شر كانت دائرة الفتنة على وشك الاكتمال، دخل شيوخ هيئة كبار العلماء هذه الفتنة من باب الفتاوى تارة ومن باب نحن أيضا موجودون في الساحة ونحن لنا اليد الطولى من باب مسايرة الواقع وحفاظا على المميزات المكتسبة.. سايروا الشيوخ الشباب الطامحين بفتاوى مشابهة، كل يوم يمر كان التنافس على نجد ومملكة فاضلة بين الشيوخ والشباب سمة تميزه، كل يوم يخرج علينا اسم جماعة إسلامية من البشر يحذرون منهم والصلاة خلفهم وخرجت مصطلحات مذهبية على بعض الفئات لم يكن لها هدف ولا غاية إلا تأجيج الفتن بين أبناء الوطن الواحد: هذا رافضي وهذا إسماعيلي وهذا اثنا عشري وهذا جعفري وهذا..الخ.

تغيرت الأمور والأوضاع وأصبحت القلة هم الذين لا يدركون هذه المصطلحات والمفاهيم، وبالرغم من ذلك الفهم والإدراك، إلا أن الفتنة لم يكن مقدرا لها أن تفهم إلا وفق تيار واحد.. تيار وهابي مؤدلج عمل على إبقاء جذوة الفتنة مشتعلة بين أفراد المجتمع تؤجج مشاعرهم وتضرب توحدهم واحدا تلو الأخر، ما تلبث أن تنتقل إلى آخر توغل صدره وتسقيه كرها. فهذا حاكم لا يمكن التطاول عليه، وهؤلاء أمراؤنا لا تشقوا عصى الطاعة عليهم، وهؤلاء علماء لحومهم مسمومة! من بقي إذن ممن لا يناله العتب ولا الذم ولا اللوم ولا النقد؟ انهم مساكين الأمة ومساكين المجتمع.. فكثر الفرقاء بعد أن كانوا جموعا، وخافت الطوائف والاقليات على نفسها بعد أن كانت مندمجة لا ترى ضررا من اندماجها.

* * *

لعلك تعفينا من هذه الخزعبلات التي ليس من ورائها طائل، هناك مواضيع كثيرة حسبتك تجيد الكتابة فيها. منطقة نجد من أقل بقاع الأرض فتناً، والسبب بسيط: أنها منطقة طرد حضاري، لا ماء ولا مرعى، ولولا الله ثم إكتشاف النفط لما وجدت اليوم على ظهرها ديارا.

* * *

هذه وجهة نظرك احترمها. لماذا تجشمت عناء الرد على الخزعبلات. كنت اعتقد سيدي انك لاتنخدع بمثل هذا الكلام، لذا كتبته لغيرك.

* * *

الاحاديث صحيحة والالفاظ صريحة ولا يلوي عنقها ويحرّف مقاصد الادلة الا معاند ومكابر.

* * *

اسمح لي ان اعترض على مقالك جملة وتفصيلا، فهو قائم على اسس لا تمت للمنطق العلمي او التاريخي المبني على اسس علمية، مقالك يا سيدي الكريم ينضح بنوع آخر من عنصرية بغيضة هي العنصرية المناطقية. فالتطرف لا دين له ولا منطقة! فهل الحجاز مثلا تخلو من متطرفين او اهل الجنوب او اهل الشمال؟ مقالك يذكرني بتلك النظريات العنصرية التي تدعي بأن التفوق والذكاء مرتبط بجنس معين! هل اسامة بن لادن نجدي؟! هل سفر الحوالي نجدي؟! اخي الكريم لقد حاولت بمقالك الخروج من اشكالية الصراع المذهبي والطائفي، فوقعت في اشكالية المناطقية وللأسف فأنها وجدت من بعض المناطقيين السذج صدى في نفوسهم المريضة، نجد والحجاز والجنوب والشمال يشكلون بلدا واحدا واللعب على هذه النغمة المناطقية في مثل هذا الوقت بالذات الذي تتعرض فيه المملكة لأعنف واشرس هجوم منذ نشأتها لا يصب الا في مصلحة من يريد لها ان تكون يوغسلافيا اخرى، لك ان تنتقد النظام الحاكم، ولك ان تنتقد اوضاعنا السياسية والدينية والإقتصادية والإجتماعية، ولك ان تنتقد افكار من شئت ممن يسمون بعلماء الدين ورجاله وتطرفهم وتعصبهم، ولكن ان تربط هذا التطرف بسبب انهم ينتمون لمنطقة معينة فهذه لعمري هي العنصرية المناطقية بعينها، والتي تؤلب وتثير مشاعر الكراهية والبغضاء ضد جزء عزيز من هذا الوطن. انه النقد الذي يهدم ولا يبني. انها كلمات ضد وحدة وطن!

* * *

اتفهم اعتراضك واتفهم غضبك، لانه ربما لامس جرحاً عندك. ما لم تدعم كل ردك وكل كلامك بشواهد من الموضوع، فلن أفهم سر غضبك وسر زعلك. كلامك قبل شكلا ورفض موضوعا.

* * *

نجد منبع الفتن وقرن الشيطان (٢)

إستتب الأمن برهة من الوقت بعد سجن كثيرين من مثيري الفتن والقلاقل بعد أن وصلوا في جرأتهم واتهاماتهم ولي الأمر نفسه. وبالرغم من ذلك واستيقاظ الحكومة من سباتها متأخرا إلا أن الفتنة أيضا لم تسجن ولم تمت، استمرت الفتن في نجد لا يحس بنارها إلا من كان من أبنائها أو سكن في محيطها، فقد استفحل أمر هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وزاد عن الحد المطاق. أصبح المذهب الوهابي والعنف

المسلط سمة غالبة في نجد، يطول أرجاء المملكة ومدنها نصيب منها. كثر المفتون وكثر الشيوخ المخالفون لسادتهم وشيوخهم الكبار الذي قاموا بتعليمهم فخرجت النصائح واللجان الشرعية، فأوقف من أوقف منهم وتراجع من تراجع وهرب للخارج من هرب منهم لكن الحقيقة المؤكدة كان تزايد أعداد الشباب المهاجر إلى الله شكلا لا سلوكا قولا لا عملا، ساهم في خروجهم حفظة قرآن أموا المساجد والجوامع الكبيرة والصغيرة بل وصلوا إلى الحرمين الشريفين بأصواتهم الرخيمة متلاعبين بعواطف البشر وبكثرة ذنوبهم وتذكيرهم بفتنة القبر وعذابه. لقد نازعوا أهل الصلاح والتقى وصفاء القلوب مناصب المؤذنين والإمامة سعيا وطمعا في بيوت يوفرها أهل الخير للمؤذن وللإمام، فكان لزعماء الفتن وقادتهم ما أرادوا من تسييس المجتمع من خلال الجوامع وتعيين من كان على السمع والطاعة في وظيفة إمام أو مؤذن مسجد أو جامع.

اصبح المجتمع يعرف البوسنة والهرسك واصبح يعرف الشهداء الذين تفوح رائحتهم مسكا والجنود المجاهدين الذين تقاتل معهم الملائكة وتبعد عنهم الصواريخ والقنابل. انشغل الناس بمقولة (الولاء والبراء) فخرج وفقها الكثيرون ممن كنا نظنهم عبّاداً أتقياء من الولاء ودخل الكثيرون في الولاء لأنهم قالوا سمعنا واطعنا وصمت الكثيرون خوفا على أنفسهم فسلكت أمورهم بين تلك الجموع. لم يهتم علماء الأمة وجهابذتها وطلبة العلم الشرعي بمشاكل فقر مواطنيهم ولا ضعف إمكانياتهم ولم يحرصوا على الأيتام في دورهم ولا اللقط ولا المرضى من أبناء وطنهم. الراسخون في العلم منهم كانوا في مكان آخر يتناولون قضايا اعمق وأهم! فعالجوا مشكلة العانسات في البوسنة والهرسك وقضايا الرق في إفريقيا ومشكلة الحداثة في شعر أدونيس، ونصبوا جل اهتمامهم على أن الغرب عدو للإسلام وانه لا يريد إلا فتنة العلماء والمسلمين بشقرواته الحسان وبمصطلحاته الدخيلة. ذكروا ذلك في أشرطتهم وأقاموا الدنيا وأقعدوها على مصطلحات غربية فماذا تعني ديمقراطية، وماذا تعني كلمة حقوق إنسان وحقوق امرأة وماذا تعني علمانية وحرية.

اشغلوا الناس وشاغلوهم في الشوارع والمحلات والأسواق وفي المكاتب الحكومية بفتن صغيرة تراكمت مع الأيام وأصبحت كتاباً منزلاً لا يأتيه الباطل: هذا شكله صليب وهذا ورد احمر، وهذا يتشبه بالغرب لأنه لبس قبعة أو بنطال، وهذا اخذ إجازة في ديسمبر ليذهب لحفلات أعياد الميلاد، وهذا هنأ الكفار بعيد ميلادهم.. هذه جميعها أصبحت ركنا أصيلا من أركان الفتنة النجدية. في الشريط كما الكتيب من الفتاوى المنتقاة ما يخلق المصائب العظام بين الاخوة الأشقاء، فكيف بين أفراد مجتمع مختلف التوجه والمشارب والطوائف؟ وبعد أن تيقن أصحاب الفتنة أن الجميع استقبل الرسالة السماوية منهم خرجت تلك الفتاوى الدينية التي لا تسمح برأي مخالف أن يسير معها ولا تسمح لرأي أو فتوى أن تخطئها واصبح الإسلام هو إسلام نجد، والصلاة صلاة نجد، والقراءة قراءة نجد، والفتوى فتوى نجد. ساهم أهل الخير بعد أن دفعوا دفعا لمثل هذا الفعل في طبع الكثير من الكتب وساهمت الحكومة بالعبء الأكبر في تحمل طبعها ووزعت على مختلف المدن والهجر بأسعار رمزية وفي أحيان أخر بالمجان. الويل لمن يقول (لا) من الشيوخ المخالفين والطرد والفصل من العمل لمن يطالب بالتصحيح منهم، وما عدا نجد وعلماء نجد لا يكون إلا بدعة أو شيخ يتبع الهوى أو شيخ مضل، فكانت تفجيرات طائفية صغيرة شهدتها الرياض ومكة يتذكرها من يتذكر، وأحداث طائفية في مواسم الحج التي تلتها، وسيرا في الغلو والتطرف الديني والتعصب المذهبي الوهابي الذي لم ترد الدولة الاصطدام به، فكيف تصطدم بشيوخ متأسلمين وهي الحامية لبيضة الإسلام وحوزته؟

في هذا الجو المتوتر المشحون بالأحادية المذهبية خرجت فتنة أخرى عبر تأويل النصوص وتكييفها مقولة (اخرجوا المشركين من جزيرة العرب). إنها كلمة حق أريد بها باطل متزامنة مع أحداث سياسية عصفت بالمنطقة مشتملة عودة بعض متطرفين أفغانستان للوطن وحرب تحرير الكويت بيد الكفرة من التحالف فانقسم العالم الإسلامي الى فسطاطين بين مؤيد وبين منكر، بين من يرى الاستعانة بالكفار وبين من يرى أنهم قادمون لتدنيس الحرمين حتى لو كانوا في الساحل الشرقي من شبه الجزيرة، وكل منهما كان الدين مطيته وصهوة جواده وفتنة الفتوى الدينية كانت أيضا عاملا حاسما في غلبة هذا الرأي أو ذاك. استراحت الفتنة قليلا بعد تنبه الدولة لها لكن هيهات هيهات أن تخمد. فهذه منشورات تتهم كثيراً من نساء المسلمين السعوديات في دينهن وشرفهن ورجالهن بالدياثة، وتصفهم بأقبح الأوصاف وأقذرها. لم تكتف المنشورات بهذا الأمر بل سربت كثيراً من الأمور السرية جدا في الدولة وجعلتها بيد عابثين ومرجفين ليزيدوا نار الفتنة بين أفراد المجتمع الواحد، كانت هذه الفتنة وأحداثها نذير شؤم لفتنة اشد تدميرا: إنها فتنة التفجيرات بيد أبناء نجد نفسها، بعد أن شربوا الفتنة وتشربت بها أجسادهم بكأس من ذهب.

كان للحكومة دورا ومساهمة فعالة عندما شجعت الذهاب إلى أفغانستان وسمحت للمؤسسات الدينية متمثلة في هيئة كبار العلماء بتعبيد طريق الشهادة والفردوس للراغبين في الوصول اليها. تلك لم تكن إلا البداية ولم تكن التفجيرات إلا مزحة لما بعدها. استفحلت الفتنة في نجد عند الأبناء والجهلة فحذا حذوهم شيوخ متطرفون لا يقلون شأنا عن كبار هيئة العلماء، فكانت طامة أخرى تعصف بنا تخرج من ارض الفتن فتاوى من كل شكل ولون وأمهات كتب مقدسية واخوانية وقطبية لم نسمع بها من قبل. تداخل وتمازج غريب بين أفكار جماعات متطرفة في الخارج وفكر منغلق وهابي يجد نصوصه الشرعية والأرضية الصلبة في فتاوى ابن تيميه. كان المشترك بينها في المراد والهدف واحد والفكرة التي خامرت العقول واحدة: خلافة إسلامية على منهاج النبوة!

خرجت الفتاوى المتجددة المؤيدة لهذا التوجه من ارض الفتن نجد ودعمها ناقص عقل ورؤيا في جبال تورا بورا بماله وجند مدربين، ولقيت لها صدى وقبولا في ارض الجنوب. مساكين هم أهل الجنوب أرادوا ركوب الخيل الغر المحجلة فركبوا طائرات تدك الأمريكيين في عقر دارهم لم يسلم أهل الشمال ولا أهل الغرب من فتاوى الخوارج ولا مكرهم. تحركت الدولة تحركا بطيئا كما هي عادتها عند أي مجابهة دينية معها، فهي لا تريد اصطدام بالجموع الكبيرة من معتنقي هذا الفكر الذي اتضح شعبيته من خلال الشبكة العنكبوتية، وتقارير الاستخبارات المحلية والأجنبية طالما أن الفتنة بعيدة عنها، وطالما أن العتب من الدولة العظمى لم يصل ذروته فلا مانع من الحلم والأناة طالما أن السند الحقيقي وهم كبار العلماء يحركون الجموع. كانت الدولة بصدق عاجزة عن السيطرة الفعالة لا حدوديا وما يمر عبرها ولا عنكبوتيا وما ينشر فيها ولا حتى سيطرة على دور العبادة في أنحاء نجد وغيرها وما يحدث فيها.

* * *

الفتنة لا تعرف وطناً ولا حدوداً متى ما انطلقت ولم توقف عند حدها. حينها تأكل الأخضر واليابس. وصمت الحملان من رجال الدولة وقت العواصف الفتنية جعل زعماء الفتنة يطلون مرة أخرى أشدّ قسوة وعنفا خصوصا وقت غزو العراق. قاموا بحملة قنوت مفتعلة تصدت الدولة لها حينما فلتت زمام الأمور منها، ثم جاءت ندوات، تبعها تبرعات عينية ومادية اختلف بعض رجال الدين حول مشروعيتها وهل تجوز لطائفة دون غيرها أم لا! لكن هذه المرة اختلف الوضع عن سابقه:

كان الحديث والتحذير والتنبيه لنظام الحكم قد جاء من خارج الدولة حيث لوح بعصى الديمقراطية وحقوق الإنسان والتغيير وتعويضات ١١ سبتمبر إن لم تذعن لمطالب الإصلاح والتغيير في السياسة الدينية. ولقيت التهديدات استجابة غير فورية: إيقاف بعض الجمعيات الخيرية الإرهابية، واجتماعات متعددة من الأئمة وخطباء المساجد وفتاوى تخرج بلا عدد لإصلاح الضرر، تقول بأن هؤلاء الغربيين هم أهل ذمة ومستأمنين، وحدث انقسام حاد بين رجال السياسة حول افضل الحلول، واتهامات بين كبار شيوخ الدولة وشيوخ المتطرفين حول الإسلام الصحيح، وحوارات وطنية تعقد هنا وهناك لا يعرف هزلها من جدها. ثم التحق بركب الفتنة سفارات أجنبية أغلقت أبوابها بناء على توارد معلومات إرهابية في نجد تحوم حول رعاياها الموجودين على أرض المملكة.

ولحق ذلك تفجيرات كبيرة تصيب الحكومة والشعب وكبار العلماء في مقتل بعد أن كان النفي والنفي فقط بعدم وجود خلايا إرهابية دينية هو الخطاب الرسمي، وبعد أن كان النفي بعدم وجود خلايا قاعدية في نجد ثم فتاوى أخرى نجدية دينية تحرم على الشعب النجدي مساعدة ومعاونة رجال الأمن. مطارادت ومداهمات أمنية واعتقالات بالجملة للإرهابيين في نجد الحكومة تقبض على خلايا تابعة للقاعدة هنا وهناك، في شمال المملكة وغربها، ولا يخلو اعتلال في الجنوب من الفتنة العظمى. وتواصل مسلسل القتل لرجال الأمن في المداهمات وأخيرا وليس آخرا: القتل لرجال الأمن بدون مداهمات أثناء قيامهم بعملهم الروتيني.

من يصدق أن هذا يحدث في نجد؟! من يصدق أن هذه الفتن جميعها كان رابطها التعصب الديني المذهبي، يقوده شيوخ مسلمون من بلاد نجد لم ينظروا إلى ابعد من أنوفهم، حينما عملوا على التعسير من باب سد الذرائع. لقد تشرب الفتنة الكثيرين وعثت في بيوت نجد وسكان المملكة هذه الفتنة البغيضة من خلال تكريس العدائية وروح التعصب المذهبي الوهابي. وحين استشرت وكثر القتل وتداخلت الأوراق والفتاوى تنصل المشايخ منها وأخرجوا البيانات التي تدين وتستنكر، لكن بعد فوات الأوان. لن نكذب على هؤلاء.. لكن الحقيقة أن الإرهابيين كانوا طلابهم النجباء!

* * *

نجد.. منبع الفتن وقرن الشيطان (٣)

عند الرجوع لمعاجم اللغة العربية يتبين لنا أن كلمة الفِتْنَةِ هي: الاضطرابُ وبلبلةُ الأفكار (فَيَتَّبِعُونَ ما تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ). والفاتِن أيضًا اللصُّ والمُضِلُّ عن الحقّ والشيطان. الفِتْنَةِ أيضًا اختلاف الناس في الآراءِ وما يقع بينهم من القتال. كل ما يصد عن الإسلام وقبوله هو فتنة، وكل من يحمل الإسلام أهله فوق طاقتهم هو أيضا فتنة، وكل من يرى أن الإسلام هو ما يفعله ويقوله ويفتيه هو فتنة، وكل من يزيد الاختلاف بين افراد المجتمع وطوائفه وملله ونحله ومذاهبه هو فتنة. الفتنة غالبا ما تكون فكرية وتكون الفتنة اشد إذا ما ارتبطت بعقيدة أو مذهب ديني أو ربطت بالدين حتى يعتنقها ويؤيدها الجميع. هل ندرك الان أي خطر يحدق بنا حينما نضع شيخاً ضيق الأفق يتصدى للفتيا في بلادنا، وآخر لا يرى أبعد من أنفه يصدر الأشرطة ويكتب الكتيبات باسم الدين؟

السؤال كيف فسّر البعض أن نجد هي العراق؟ تنحصر حجج هؤلاء القائلين بنجد العراق في أمرين هما: الأول، الروايات المختلفة للأحاديث الشريفة ولفظ كلمة (المشرق). والثاني، تفسيرات وتأويلات العلماء في تأويل نجد بان المقصود بها العراق وليس نجد اليمامة (السعودية). يمكن تفنيد الحجتين السابقتين واحدة تلو الأخرى بحجج أقوى واكثر عمقاً من تلك التي استندوا عليها لإقامة حجتهم بأن نجد المقصود بها العراق.

أولا، الروايات المختلفة للأحاديث الشريفة ولفظ كلمة (المشرق). (رأس المشرق قبل المشرق)، صحيح مسلم. (رأس الكفر نحو المشرق)، صحيح البخاري. (ومن ههنا جاءت الفتن نحو المشرق)، صحيح البخاري. بالنسبة لكلمة المشرق الواردة في الأحاديث أعلاه لا تعني قطعا العراق لكنها إشارة إلى جهة المشرق كجهة فقط دون تحديد مكان معين فيها. لكن ربط الروايات السابقة المختلفة بالحديث الأساسي (نجد قرن الشيطان) يجعل الأمور واضحة للعيان لا لبس فيها ولا غموض بأن المقصود تحديدا بالشرق هو نجد. إن قراءة جغرافية مبسطة لدوائر العرض الجغرافية (لنجد والعراق) تثبت بما لا يدع مجالا للشك أن الذي شرق المدينة المنورة هي منطقة نجد السعودية لا العراق، فعلى سبيل المثال لا الحصر المدينة المنورة خط عرضها تقريبا هو ٢٤.٥٥، والرياض خط عرضها تقريبا هو ٢٤.٧٠، والقصيم خط عرضها تقريبا هو٢٦.٣٠، لكن المفاجأة تكون بالنظر إلى خط عرض العراق تقريبا ٣٣.٢٦. العلم الحديث وجغرافيته التي لا تعترف بطائفية أو مذهبية تثبت أن كلمة نجد الواردة في الروايات المختلفة من الأحاديث تتناسق مع كلمة (المشرق).

ثانيا، يستند أيضا القائلون بنجد العراق على تفسيرات وتأويلات شراح الحديث. فالخطابي يقول مثلا: (نجد من جهة المشرق ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق نواحيها). أما الكرماني في شرحه للبخاري فيقول: (وأصل النجد ما أرتفع من الأرض وهو خلاف الغور). هذه الحجة أيضا مردودة على صاحبها من خلال معرفة ارتفاع الأرض عن سطح البحر، فالرياض مثلا التي تمثل قاعدة نجد يبلغ ارتفاعها عن سطح الأرض ٢٠٨٢ قدمًا تقريباً، أي ٦٣٥ مترًا. أما ارتفاع العراق التقريبي عن سطح البحر فهو ١١٣ قدمًا (٣٤ مترًا). منطقة نجد السعودية أغلب مدنها اكثر ارتفاعاً من العراق. أما القول الثالث وهو لابن حجر، الذي يعد أشهر ما قيل عن نجد الذي يقول (اتفقت كلمة شراح الحديث وأئمة اللغة أن نجدا ليس اسما لبلد خاص ولا اسما لبلدة بعينها، بل يقال لكل قطعة من الأرض المرتفعة عما حواليها، ونجود العرب كثيرة منها نجد البرق، ونجد اجاء، نجد العقاب بدمشق، نجد اليمن، نجد الحجاز، نجد العراق وهو يقع جهة الشرق من المدينة المنورة). هذا القول مردود على صاحبه أيضا لأنه يخالف الأحاديث النبوية الشريفة الصريحة بتحديد أن نجد هي نجد اليمامة من خلال دليلين صريحين من الأحاديث الشريفة.

الدليل الأول: موجود في صحيح البخاري: (حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني سالم أن ابن عمر غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فوازينا العدو فصافنا لهم). في حديث آخر: (كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع). حتى لا يلتبس الأمر على الكثيرين في الروايتين نقول أن هذه الغزوة هي غزوة ذات الرقاع. وقعت في السنة الرابعة للهجره، وسببها غدر بعض القبائل من نجد بالمسلمين حيث قتلوا الدعاة السبعين، الذين خرجوا يدعون إلى الله تعالى، وانما سميت ذات الرقاع لان المسلمين كانوا يلفون أرجلهم بالخرق لأن أرجلهم قد نقبت لشدة المشي، وهي غزوة كانت لمحاربة قبيلتي بني محارب وبني ثعلبة من قبائل غطفان، وعسكر الرسول عليه الصلاة والسلام في مكان يسمى نخل، ولكن لم يقع قتال لأن الله قذف في قلوبهم الرعب فهربوا بعيدا عن المسلمين. الشاهد في الموضوع أن هذه القبائل سكناها وموطنها بالنسبة لوقتنا الحاضر يمتد من نجد اليمامة وحتى المدينة المنورة. مهم أن نعرف أن قبيلة مطير المشهورة والمعروفة حاليا بهذا الاسم ترجع إلى قبائل غطفان.

الدليل الثاني: في صحيح مسلم: (بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلا له نحو أرض نجد فجاءت برجل يقال له ثمامة بن أثال الحنفي سيد أهل اليمامة..الخ). وفي البخاري: (بعث النبي صلى الله عليه وسلم عت

برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال فربطوه بسارية من سواري المسجد). حدد الحديثان السابقان نجد التي ترد في الأحاديث الشريفة تحديداً لا لبس ولا غموض فيه بأنها نجد اليمامة. تأملوا هاتين الجملتين (سيد أهل اليمامة) و(رجل من بني حنيفة)؟

بالرغم مما سبق تظل دائما هناك حجة قوية ودليل يقطع الشك باليقين أن نجد المقصودة ليست العراق. انه دليل من السنة النبوية المطهرة موجود عند تبيان مواقيت الحج والعمرة في مسند أحمد: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مهل أهـ المدينة من ذي الحليفة ومهل أهل الطريق الأخرى من الجحفة ومهل أهل العراق من ذات عرق ومهل من يلملم). وفي سنن النسائي: (عن عائشة قالت وقت رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل المدينة ذا الحليفة ولأهل الشام ومصر الجحفة ولأهل العراق ذات عرق ولأهل نجد قرنا ولأهل اليمن يلملم). لو كانت نجد هي العراق لما اختلف المهل، ولو كانت نجد هي العراق لما أوردها مستقلة عن نجد.

* * *

انا لا افهم ماذا تريد ان تحقق بهذا الطرح الديني، العنصري، المتخلف؟ هذا طرح ديني خرافي. انا لست نجدياً ولا احب التزمت الديني النجدي، واغضب من كثير من الممارسات والعادات النجدية. لكن ليس الحل هو مقالة الخطاب الديني المتشدد بخطاب ديني عنصري.

* * *

أوافقك في أن مصدر التطرف والفتن في العالم الإسلامي هو الفكر الوهابي المعشعش في نجد التي نشأ فيها وكبر وانتشر بالمال في أمصار المسلمين، ولكن لا أوافقك على أن هذه العلم مصدره نبوي ورد في حديث هنا أو هناك لأن العلم بالغيب لا يعلمه إلا الله وكل الغيبيات جاءت في كتاب الله ولا يصح أي حديث فيه إخبار بالغيب إلا أن يكون فراسة تصدقها فقرات الحديث.

* * *

تأبى الشعوبية إلا ان تنفس عن حقدها. الإنفصال حلم بعيد يا من يبحث عن مجد لم يبق منه الا الأوهام!

* * *

أين تعيش؟ في المريخ؟ ألا تتابع ما يحدث في العالم؟ ومن يقف وراء الأحداث الأخيرة المتتابعة في العالم العربي والإسلامي من إرهاب وفتن؟ كلامك يظهر التطرف والعنصرية لا الموضوعية ولعل هذا أكبر دليل على صحة كلام صاحب الموضوع. أما الإنفصال فسيحدث إن لم يغير القاعد على العرش سياسته وحليفه القديم، ولن يكون بيد أهل هذه البلاد أو تلك بل بيد سيد العالم الجديد، ونحن لا نحبذ الإنفصال ولكن الإصلاح أفضل للجميع.

* * *

انا العنصري! انا الذي قلت ان مصدر التطرف هي نجد؟! ومن هي نجد؟ اليست هي جزء من الوطن؟ اذن ماذا تقول عن فكر الجماعة الإسلامية وجماعة التفكير والهجرة الذي نشأ في مصر من رحم الأخوان المسلمين؟ ماذا تقول عن فكر سيد قطب؟ هل مصدره نجد؟ هل القاعدة وتنظيمها وقادتها من نجد؟ اي عنصرية تتحدث عنها؟ ام ان كون قادة هذا الوطن ينتمون لهذا الإقليم اصبح كل عيب فيها وكل جرم ينسب اليها؟

* * *

الموضوع يناقش نجد، كون هناك أحداثاً تاريخية تشهد بتطرف ديني غريب علينا نشأ في منطقة نجد. أما قطب والآخرون فلم يحدث تطرفهم ما أحدثه أصحاب الفكر الوهابي. فالعالم الإسلامي اليوم يمر بمرحلة فاصلة من جراء أفعال أصحاب هذا الفكر الذي وجد في منطقة نجد ملاذا له وكافلا، ولا نقصد أن نسيء لهذه المنطقة بل للتنبيه. قائد القاعد ليس بنجدي ولكن فكره وهابي مصدره نجد للأسف.

* * *

اذا كنت تؤيد ان الفكر المتطرف الإرهابي ينتمي ويعشش في منطقة نجد، فما المغزى؟ وما هو الهدف؟ ان نمحي منطقة نجد من الوجود كي نقضي على التطرف! ام ان نقول ايها العالم هذا الإقليم لا يخرج منه الا دعاة ارهاب وتطرف؟ ام ان نطالب بالقصاص من كل نجدي لأنه سبب ويلات وتخلف الأمة؟ اسألك بالله هل هذا الطرح به شيء من العلمية او المنطقية في شيء؟ عندما تريد او يريد احد ان يبحث عن مصدر لفكرة متطرفة يبحث في ظروف نشأتها كفكرة وكيف طرحت وعلى من طرحت وما هي اهدافها وغاياتها المرحلية والنهائية؟ اما ان يأتي شخص ما ويتهم اقليماً معيناً بأنه مصدر للفتن والمصائب والتطرف، فهي تنم عن عقلية غير علمية تتدخل في نظرتها للأمور الأهواء والإعتبارات الشخصية.

* * *

أيها الكاتب! لقد تعبت في تخريج ذلك الكم من الاحاديث والروايات وخرجت وقد كساك الغبار وبقايا تلك الأوراق الصفراء المتعفنة. أقول لك هنا: لا بأس، ولا تعبت، وكثر خيرك على هذا الجهد، لكني اختلف معك في ربط الفكر المتشدد والظلامي بموقع جغرافي. انت ترى ان هذا الفكر منتشر في الجنوب، والشرق، والغرب، وفي مصر وفي الكويت وفي كل مكان.

* * *

كنت في ما مضى أخالف بعض الذين قالوا: (الإسلام نبذ العنصرية)! وكنت أقول: الإسلام لم ينبذ العنصرية، بل أنه رسخها في بعض الأحاديث. وبذكرك لهذه الأحاديث التي تشير إلى (إقليمية عنصرية) اثبت بأن الإسلام يعتمد على (الإقليمية العنصرية الضيقة) في فضل وبركة إقليم على أخر! لا يهم هنا هل (نجد) هي نجد اليمامة ام أنها نجد العراق! الذي يهم أن الإسلام ممثل في أحاديث الرسول التي ذكرت يشير لمنطقة (إقليم) وبطريقة (عنصرية إقليمية ضيقة)، وبأنها مصدر للفتن وقرن الشيطان، أوانها دار للفتنة والشرور والمصائب..الخ! وهذا يعني أن الإسلام متحيز ضد إقليم معين وضد مواطنيه، وبأن البركة يجب أن لا تحل بهذا الإقليم المغضوب عليه، فبعض الأقاليم مغضوب عليها، وبعضها مرضي عنها!

* * *

الاختلاف في أن القصد من نجد المذكورة في هذا الحديث هي نجد او العراق أمر يحتاج لنظرة شفافة صادقة بعيدة عن التعصب والتراكمات النفسية، ويحتاج لمقارعة الحجة بالحجة. لا يخفى على أحد ما لأرض العراق من تاريخ طويل وحتى الان مع الفتن والثورات، نجد اليمامة قد تكون انجبت فكراً معيناً نعاصره الان، ولكنها لا تملك تاريخاً ثورياً كالعراق ودارسي التاريخ يعلمون هذه النقطة. فيما يختص بالحجة، إليكم هذا الحديث الشريف: (اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا، وبارك لنا في شامنا ويمننا. فقال رجل من القوم: يا نبي الله! وعراقنا؟ قال: إن بها قرن الشيطان، وتهيج الفتن، وإن الجفاء بالمشرق). وإن كان هناك اختلاف على ماهية

نجد المعنية فليس هناك اختلاف على معنى العراق الواردة في الحديث. هذا ايضا حديث شريف يقول: (ألا وإن القسوة وغلظ القلوب في الفدادين – حيث يطلع قرنا الشيطان – ربيعة ومضر). ديار ربيعة ومضر حسب الاطلس التاريخي تقع في جنوب العراق! هناك ايضاً كلمة لا بد أن تقال.. أن الرفضة هم (آخر) من يتهم نجد اليمامة بأنها أرض الفتن واهلها أهل فتن، فالتاريخ لا يُحجب بجرة "كليك".. والتاريخ يقول أن أكبر فتنة واجهة هذا الدين هي فتنة الشيعة.

* * *

هذا الموضوع فعلا حساس ويستمد حساسيته من الفهم الخاطئ للبعض وتفسيره المسألة بأنها عصبية وكره لإقليم نجد. ما قاله الكاتب صحيح، وفعلا من يقرأ الحديث بتمعن وبهدوء يجد ان محاولة اسقاط لفظة نجد الواردة في الحديث على العراق ليست سوى عملية يائسة ومتخبطة وتخالف الحقيقة. ليس القصد من الحديث ان نجد أرضاً ملعونة، بل القصد ان من نجد ستنبع الفتن، ومن خلال قراءتنا لحديث ذي الخويصرة، وحديث الخوارج، ندرك انهم سبب الفتنة النجدية، وأوصافهم تنطبق على محمد بن عبدالوهاب وأتباعه، ولا توجد فتنه أشد من ان يقوم مجموعة من الناس بتكفير اهل الاسلام وقتالهم وترويعهم، وهذه الفتنة والله العظيم اشد وانكى واكبر عند الله من ضلالات الشيعة وقتل الحسين وظهور المرجئة والمعتزلة وغيرهم. أما بالنسبة للحديث الذي اوردته ويذكر فيه (عراقنا) بدل نجدنا، فهو حديث انفرد به الطبراني وفي احد رواته راوٍ غير ثقة وقد قال عنه اثنين من علماء الاحاديث انه (كذاب). اما أن ديار ربيعة ومضر تقع في جنوب العراق، فلا اقول سوى قاتل الله الكذب، اي شخص لديه اطلاع بسيط بالتاريخ يعلم ان ديار مضر وربيعة وقبائلها مقرها نجد، وبالذات في العهد الجاهلي والعهد النبوي، وكون بعض الفروع رحلت الى بادية العراق فيما بعد، فلا يعني ذلك ان نجد ليست بديار مضر وربيعة، والاصل لا يتبع الفرع ابدا، وحديث ذي الخويصرة وغيره يؤكدان ما رميت اليه ويكذبانك.

* * *

إلى متى يا إخوتي تصدقون مثل هذه الأحاديث السخيفة، التي لا يقولها حتى ملك من الملوك ناهيك بمن تأتيه نفحات السماء وحيا رطبا طاهرا كل حين. مجدت كثير من الأحاديث بعض المناطق وكفرت البعض واتهمتها، فهل تجد طفلا صغيرا تستطيع إقناعه بمثل هذه السخافات؟ تشير هذه الأحاديث السخيفة الى الكذب على منطقة نجد. من هذه المنطقة أناس نصروا الله ورسوله ولهم جهاد عظيم. ومن هذه المنطقة ظهر أناس حاربوا الله ورسوله. في كل مكان يوجد مثل هؤلاء. للعلم لست نجديا ولا أحب أهل نجد الحاليين.

* * *

ليس من المعقول ربط الأحداث الحالية التى ظهرت خلال شهور او سنوات قليلة وكون اصحابها من هذه المنطقة بتفسير حديث بهذه الأهمية! هذا غير منطقي اطلاقاً. العراق أرض حروب وفتن منذ التاريخ، لماذا لم يظهر احد طول هذه السنين ويضع الحديث الذي اوردته انا ثم يقول: انفروا من هذه البلاد فهي بلد فتن بدليل قول نبوي غيبي؟ لا تُقيِّم المسألة بهذا الشكل ولم نسمع من أهل العراق انهم يتهمون انفسهم – رغم وجود دليل نبوي وواقع حي ملموس– بانهم اهل فتن.

* * *

الأحاديث الصحيحة والتي رواتها كلهم عدول ذكرها البخاري ومسلم في صحيحهما وكانت بلفظ (نجد) و(نجدنا) اما ما ذكرت فأحدهما كما اسلفت انفرد به الطبراني وفي سلسلة رواته راو كذاب حسب وصف علماء الحديث وليس الحديث الاخر عنه ببعيد. ذكر الكاتب احاديث تبين تخصيص نجد بلفظ نجد منذ العهد النبوي وتخصيص العراق بلفظ العراق كذلك، ومحاولتك اسقاط التهمة على العراق لن تجدي شيئا. شخصيا لا احبذ الاستمرار في هذا النقاش العقيم لأن الوهابيين والنجديين لن يعترفوا بهذا الحديث حتى لو بعث رسول الله واعاد عليهم الحديث.

* * *

مشكلتك تشبه كثيرا مشكلة العلماء وهي انغلاقكم على كتب التفسير وتركة العلوم الأخرى. هل تعلم ما الذي يقوله علم الاجتماع وعلم الجغرافيا.. عن المناطق الصحراوية والمنغلقة؟ المناطق المنغلقة.. سكانها دائما يرتابون بالغرباء، لهذا هم لا يثقون بهم.. وهذا ليس في نجد.. بل حتى في الصحراء الكبرى، لو تقرأ عن الطوارق سترى أنهم يشبهون أهل نجد قبل ١٠٠ عاما. المناطق الساحلية هي أكثر انفتاحا. ألا ترى أن عدد الفتن في العراق منذ وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر من نجد.. وأن العراق عاشت قلاقل كبيرة طوال ١٤ قرنا. ورغم هذا.. لا أذهب إلى أن الحديث الذي روي هو السبب. بل موقع العراق كبلد، هو من يجعل بها كل هذه الفتن. فهي نافذة يطل بها العالم على الشرق. مشكلتك أنت والعلماء الذين تنصحهم أنكم لا تتعاملون مع الإسلام على أنه دين منطق فتحاولون تفسير الحديث والقرآن، كما يفعل المشعوذون مع كتاب نوسترا داموس.

* * *

مع كامل احترامي لك وللجميع، ولكني أرى الحل في الإنفصال، وليذهب كل لحال سبيله، وشيل دا عن دا، يرتاح دا من دا، ولنر كيف سيعيش بعض الناس.

* * *

ليس ما كتب اعلاه هو الحل، ولا اعتقد جازما انك ترغب في ذلك حقيقة الامر، وبما اني مواطن سعودي ارفض ايضا ان يكون الوطن بلحمته الواحدة هو الذي يدفع ثمن تهور وانغلاق فئة من البشر.

* * *

التاريخ الثوري في اي دولة لا يعني فتنة. كل الدول تحدث فيها انقلابات وثورات، لكن هل هي فتنة؟! ثم من قال لك ان نجد لاتملك تاريخاً ثوريا فتنياً؟ هل نسيت حروب الردة ومدعي النبوة مسيلمة وطليحة الاسدي. أما قولك أن (الرافضة هم (آخر) من يتهم نجد اليمامة بأنها أرض الفتن واهلها أهل فتن، والتاريخ يقول أن أكبر فتنة واجهت هذا الدين هي فتنة الشيعة). سيدتي انت انسانة متعلمة اكاديمية كما تقولين. هل هذا كلام يخرج من سيدة مثلك؟ انت بردك تؤكدين صحة ما ذهبت اليه من أن الفتنة النجدية تغللت في كل مواطنينا وجعلتهم ينظرون بنظرة احادية لاترى الاخر شيئا. للاسف الفتنة تشربها الكثيرين منهم الجهلة أو المتعلمون.

* * *

ولا ننسى ذا الخويصرة (التميمي النجدي) وموقفه الأرعن مع رسول الله عليه الصلاة والسلام ولا ننسى ايضا ذي الثدية ومحمد بن عبدالوهاب (التميمي النجدي ايضا) وأتباعه وقيامه برمي المسلمين من حوله بالشرك وتكفيرهم ومن ثم قتالهم واستحلال دماءهم وأموالهم، وهي لعمري اشد الفتن واعظمها.

* * *

القوة لا تصنع وحدة وطنية

استخدام القوة والقسر والفرض، لا يؤدي إلى الوحدة الحقيقية، لأن استخدام القوة لا يفضي إلا إلى المزيد من اكتناز المشروع الذاتي أو الخاص، ويتحين أصحابه الفرصة السانحة لإنهاء الوحدة المفروضة بقوة الحديد والنار. الوحدة بين الوجودات الاجتماعية والكيانات البشرية، لا يمكن أن تنجز بالفرض والقوة، وأي وحدة تنجز بهذا السبيل فإن مآلها الأخير هو الفشل والتشظي والهروب من كل الأشكال الوحدوية والارتماء في أحضان المشروعات الذاتية الضيقة. الوحدات الاجتماعية، التي تفرض بقوة الحديد والنار، تقضي على كل القيم والمبادئ الضامنة لمشروع التوحيد والوحدة والمحافظة على الأخلاقية المطلوبة في هذا الاطار. فالقوة والعسف من وسائل الافتراق بين البشر واستخدامها من أجل التوحيد والجمع لا يؤدي إلا إلى المزيد من التفتت والتشرذم والتشظي لأنها تزيد النفوس ابتعاداً عن بعضها، وتنفر العقول من البحث عن المشترك ووسائل التعايش والوحدة وتهيئ الأوضاع والظروف للهروب من كل مقتضيات الوحدة ومتطلباتها الاستراتيجية. الوحدة تبدأ باحترام حقائق التنوع والتعدد، لأنها ليست حالات أو وقائع مضادة للمنظور الوحدوي، بل هي عناصر تثري مفهوم الوحدة الوطنية، وتزيد مضمونهما حيوية وفاعلية.

محمد محفوظ

الرياض، ٢٠٠٣/٨/٥

* * *

تقويم العون السعودي الخارجي

المساعدات الخارجية السعودية لها نسق خاص متميز عن غيرها من المساعدات التي تقدمها غيرها من الدول سواء كان في طبيعتها أو دوافعها أو نسبتها:

١) المساعدات السعودية الخارجية غير مقيدة أو مشروطة.

٢) إن المساعدات السعودية تشكل نسبة عالية من الناتج القومي حيث بلغت نسبة ما قدمته المملكة من مساعدات خلال الفترة من ١٩٧٣-١٩٨١م نحو (٧,٧٪) كما تحتل المملكة العربية السعودية المركز الثاني في العالم من حيث الحجم المطلق للمساعدات خلال نفس الفترة.

٣) إن قسماً كبيراً من المساعدات السعودية الخارجية هي مساعدات غير مستردة. كما تقوم المملكة بتقديم قروض إلى الدول الأخرى دون فوائد، كما أن تلك المساعدات والقروض تتصف بسرعة الصرف والسيولة العالية.

يبقى بعد هذا سؤال: مع تغير الظروف الاقتصادية العالمية والمحلية، هل من الحكمة استمرار المساعدات الخارجية السعودية على نفس المنوال؟

عبد العزيز حسين الصويغ

عكاظ، ٢٠٠٣/٨/١٢

* * *

ماذا وراء الحملة البريطانية أيضا؟

الحملة البريطانية السياسية والصحفية الحالية على المملكة لا يوجد ما يبررها لا من النواحي السياسية والأمنية، ولا من مختلف جوانب ومجالات المصالح العملية المتبادلة التي تنطلق من الأهداف الثنائية المشتركة. لماذا (الحملة) في هذا الوقت بالذات بعد أن أفرجت المملكة تكرما منها عن المتهمين البريطانيين من سجونها بدلاً من معاقبتهم على جرائمهم؟ وما الدواعي المصلحية الملحة لمثل هذه التحركات السياسية؟ نرجو ألا يكون التحامل البريطاني هذا وسيلة لتحقيق غاية أيا كانت تلك الغاية. هل يتوجب على المملكة استخدام حقها في التعامل بالمثل مع بريطانيا؟

وحيد حمزة هاشم

عكاظ ٢٠٠٣/٨/١٦

* * *

هل تخسر أميركا السعودية؟

الآن جاء دور المملكة بإشغالها بنفسها وبذر بذرة الشقاق في مجتمعها، فكان الحرص في البداية على إشعال القيادة وإيجاد فجوة بينها وبين أبنائها فكان العتاب على وجود هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنها سبب البلايا، أعقبه طرح عن مناهج البلاد التعليمية وأنها السبب في كل أذية تنال أمريكا والعالم في السوية. ثم جاء دور المرأة وأنها في المملكة مهضومة وعن حقوقها المزعومة. وكل هذا مطالب محلية تحاول أمريكا التدخل فيها بلا حياء. ثم جاء خامسها قضية عربية فطلب من المملكة مشاركة لوجستية أو فعلية في القضية العراقية، فكان موقف المملكة الموقف الواجب بل اعتبرت هذا تدخلاً سافراً ولا يحق لأمريكا وغيرها أن تملي ما تريد.

محمد عبد العزيز الثويني

الجزيرة ٢٠٠٣/٨/١٥

* * *

أمريكا.. تُريدُ.. فماذا نُريد؟

بعض المتابعين للشأن الأمريكي، والعارفين به، يقولون ان الخطوط الإستراتيجية الكبرى، للسياسة الخارجية تصنعها، عادةً، (المؤسسة) الأمريكية، ولا تعتمد، على رئيس معين، أو إدارة هذا الحزب، أو ذاك. وهؤلاء ينصحوننا، بأن السياسة الأمريكية الجديدة، خرجَت إلى العالم لتبقى، وتستمر وان ما نسمعه من الإدارة، والاعلام، وما نراه من التحركات هو تعبير حقيقي أصيل عن (الأمريكي) الجديد ولذلك، يجب ان ندع الأوهام والتمنيات جانباً، وان نستعد للتعامل مع هذا (الأمريكي) على أسس جديدة. العقلاء، لايصرفون وقتهم، فقط، على محاولة فهم، ارادات الآخرين، وتوجهاتهم، ونواياهم، بل لا بد من تفعيل إراداتهم، ومبادراتهم، واعداد انفسهم، لأسوأ السيناريوهات. سنصْرف عمرا طويلاً، لا نملكه، لفهم نوايا امريكا، وإرادتها، ولابد ان نصرف على الأقل شيئاً منه لنفهم ماذا نُريد ونستخدم امكاناتنا الوطنية، وجهدنا الاقليمي، لتفعيل تلك الارادة، وتحقيق تلك الرغبة. ماذا تُريد امريكا.. سؤال مهم جداً، ولكن الأهم منه: هو ماذا نُريد نحن.. وهل نحن عازمون على فِعل ما نريد؟

أنور الجبرتي

الجزيرة ٢٠٠٣/٨/١٢

* * *

السياسة والصداقة

كانت احداث الحادي عشر من سبتمبر بداية للمنحنى السلبي لهذه العلاقات المتميزة (بين أميركا والسعودية). ورغم ادانة الحكومة السعودية لهذه الاعمال، ورغم ما عانته المملكة من اعمال ارهابية مماثلة.. الا ان تعامل بعض الاطراف داخل الادارة الامريكية مع الحركة اتجه في الفترة الاخيرة الى تحميلها مغبة ما حدث في الارض الامريكية. ولقد سعت المملكة للتوصل الى تفهم مشترك مع واشنطن وبحث مختلف الطرق لسبر غور تلك الاحداث عن طريق التعاون الامني والاستخباراتي ومحاولة السيطرة على تداعياتها الخطيرة خاصة فيما يتعلق بالعلاقات بين البلدين. ومهما كانت شدة الانتقادات للجانب السعودي فلم يكن يدور في ذهن اي مراقب لتطور العلاقات السعودية الامريكية ان تصل درجة سوء الظن الى اتهام المملكة أو مسؤولين فيها بأنهم على علاقة بعمليات الحادي عشر من سبتمبر ناهيك عن مسؤوليتهم عن اي جانب منها تخطيطاً أو تمويلاً أو تنفيذاً. لذا فلقد جاء التقرير الاخير المقدم من الادارة الامريكية الى الكونغرس صدمة عنيفة للسعوديين تؤثر دون شك على

طبيعة العلاقات بين الرياض وواشنطن وعلى الثوابت التي بنيت عليها هذه العلاقات.

عبد العزيز حسين الصويغ

عكاظ ٢٠٠٣/٨/١٤

* * *

إبتزاز أميركا للسعودية

هل تقرير الحالة السعودية هذا الذي امتنعت الادارة الامريكية عن الكشف عنه لاسباب امنية سيبقى فزاعة تستثمره ربما ادارة بوش او غيرها في أي وقت تشعر بالحاجة لاستخدامه كأداة من ادوات السيطرة وربما ابتزاز المملكة اوتليين موقفها المتشدد في التطبيع مع اسرائيل؟! ام ان المسألة لا تعدو ان تكون غطاء تكتيكيا يخدم ادارة بوش في ابقائها لاربع سنوات اخرى بذريعة عدو حقيقي هذه المرة ومصالح امريكا الكبرى في قبضته؟! كلا الاحتمالين وارد.

عبد الله الطويرقي

اليوم، ٢٠٠٣/٨/١١

* * *

من يحب أمريكا مسخ!

أي مسخ ذلك الذي يحب دولة لا تفتأ تجعلك كبش فداء لمراسم انتخاباتها! وتراهن على أن تضخ كل مقومات الدوافع الإمبريالية في سبيل أن يستحيل القرن الآتي قرنا أمريكا وليس ثمة شيء آخر؟ أحمق من يسعى في محاولة أن يحب دولة كأمريكا وهي تبذل جهدا في أن تختزل علاقة تاريخية بـ ٢٨ صفحة من تقرير يكتبه المتصهينون في ذات الإدارة! ومهما يكن من أمر فإن ثمة أوراقا أخرى مندسة في أدراجها لم تدق بعد ساعة إخراجها! يتم إرجاؤها إلى لحظات تكون أشد حرجا وأكثر انتهازية في أجواء حاسمة! وفق التوقيت الأمريكي!

خالد السيف

الوطن ٢٠٠٣/٨/٤

* * *

لم تعد أمريكا صديقاً

بعيدا عن التغني بصداقة ستين عاما مع أمريكا الشريك والحليف وبعيدا عن عقلية العربي المغرم بالتاريخ والكرم والحفاظ على الود والعهد والمواثيق يجب التعامل بعقلية الطرف الآخر وبراغماتيته ورعايته لمصالحه. جزء من البراغماتية مراكز ودراسات بحوث تفرز وتدرس وتبحث المواقف والشخصية الأمريكية والدوائر ونتعامل خارجيا تبعا لنتائج هذه الدراسات ماليا وسياسيا واقتصاديا وإذا كانوا هم عوالم متراقصة ومتصارعة فيمكن تصنيف ذلك والتعامل معه، وإذا كان لهم بدائلهم فينبغي أن يكون لنا بدائلنا وخياراتنا وإذا كانوا لهم تكتلات سياسية فإن العالم ليس فقط أمريكا فليكن لنا انفتاح على بقية العالم واستعانة بالأشقاء والأصدقاء ومن تجمعنا معهم مصالح فهذا على الأقل خير من التباكي. آن لنا أن نعرف ماذا نريد؟ وكيف نريده وكيف يتحقق؟ وأن تكون البراغماتية في علاقاتنا الدولية هي المحك والفيصل. فليكن مفصلا تاريخيا بدءا من وعينا للدرس الأمريكي المتجدد معه ومع غيره.

عبد العزيز الصاعدي

الوطن ٢٠٠٣/٨/٢٠

* * *

تدهور العلاقات السعودية الأمريكية

ليس الجمهور الأمريكي وحده المستاء من السعوديين، بل حتى الحكومة الأمريكية التي تمتعت بعلاقات وثيقة مع السعوديين لعقود. لا يمكن وصف العلاقات الديبلوماسية بين البلدين بعد ١١ سبتمبر بمجرد الفتور، بل إن مفردة (التصعيد الخفي) هي عبارة مناسبة ودقيقة للوصف. فعلى الرغم من التزام الطرفين بعبارات المجاملة السياسية ولغة الصداقة إلا أن التقارير والتصريحات كانت بالغة الوضوح في كيل الاتهامات بالتقصير والخطأ من كل طرف للطرف الآخر. ما تحتاجه العلاقات السعودية الأمريكية هو المزيد من الشفافية والوضوح في الجهود والمواقف، إن الرغبة في تلافي الأخطاء من قبل الطرفين باتت مهمة اليوم، ويبدو مستقبل العلاقات السياسية بين البلدين مفتوحا على فرص متعددة، التغيرات الأخيرة في المنطقة، لا سيما بعد حرب العراق، قد تسهم في تعزيز العلاقات على المستوى السياسي، ولكن على المستوى الشعبي فإن الفجوة ما تزال واسعة للغاية، ولكن العمل على إعادة مداواتها لا يزال ممكنا.

عادل بن زيد الطريفي

الوطن ٢٠٠٣/٨/١٣

* * *

تقرير الكونغرس: سلاح مدّخر ضد السعودية!

وإذا كنت غير مقتنع بالمبررات الأمريكية التي قدمتها لحجب هذا الجزء من تقرير الكونجرس، فإنني أعتقد أن الأحداث الأخيرة التي شهدتها السعودية مع الإرهاب أحد الأسباب المهمة التي أدت إلى عدم النشر، فقد وجد الأمريكيون أنه من غير المنطقي اتهام دولة بدعم الإرهاب وهي في قمة معاناتها معه داخل حدودها، أما السبب الآخر المهم، فهو في نظري أن الأمريكيين يريدون ادخار بعض ما لديهم في (مخازن التهم) لاستخدامها عند الحاجة وفي الوقت المناسب. ستظل تهمة دعم الإرهاب تهمة أمريكية جاهزة للسعودية تستخدمها كيفما شاءت وفي الوقت الذي تريد، وهذا الجزء المحجوب من تقرير الكونجرس سيظل جاهزا للنشر بمجرد أن تقول السعودية (لا) لأي غطرسة أمريكية وما أكثر الغطرسات!.

قينان الغامدي

الوطن ٢٠٠٣/٨/١

* * *

الإبتزاز الأمريكي وضرورة الإنشغال بمشاكل الداخل

تقرير الكونجرس الأمريكي الذي انتزع منه عدة صفحات لا تتجاوز الثماني والعشرين صفحة والتي تسرب إعلامياً أنها تتهم المملكة وبعض رموزها بالتعاون مع الإرهاب يمكن اعتبارها شكلاً من أشكال الابتزاز الواضحة. العودة بقوة للداخل وإصلاح الأوضاع هو أفضل من تكريس جميع الجهود لمواجهة الحروب الإعلامية التي علينا مواجهتها بنفس القوة والوضوح الذي تعاملنا فيه مع أوراق الكونجرس، ولكن دون أن تطغى على العمل في الداخل خاصة وان احداث اليوم ليست أمنية فقط.

هيا المنيع

الرياض، ٢٠٠٣/٨/١٨

* * *

صوتنا التائه وغسيلنا المعلق على نوافذ العالم

الإشكالية لم تعد فيما يقال عن السعوديين خارج بلادهم، فقد فتحت أغلب الأبواب على مصراعيها والقادم من النقد الشديد ضد المجتمع السعودي سوف يكون أكثر وطأة خاصة في غياب الأصوات السعودية المتنوعة والتي لا تعكس دوماً وجهة النظر الرسمية للحكومة السعودية وتتجاوز ردود الفعل العشوائية والعاطفية وتتخلى عن الخطاب القديم الذي عجز عن فهم حقائق الواقع وظروفه ولغته المتجددة. المشكلة الحقيقية هي في غياب الصوت السعودي المؤهل لنقل وجهة نظر تمثل المجتمع السعودي أو تشرح موقفه. إن واحدة من أسباب غياب الصوت السعودي في الخارج، خاصة في مثل هذه الأزمة، يرجع إلى الخوف من سوء الفهم في الداخل.. خوف

تعددت مصادره وأشكاله وتبرره تجارب مريرة لسعوديين حاولوا التواصل مع الإعلام الغربي بخطاب جديد على بعضنا في المملكة وفكرة مقدسة في الغرب هي (استقلالية) المثقف وتنوع الآراء وتعدد الأفكار داخل المجتمع الواحد. لماذا يصر البعض على أن نكون صوتاً واحداً ونحن في واقعنا أصواتا متنوعة متعددة لا يضيرها أن تختلف في أفكارها وتتباين في وجهات نظرها؟

سليمان الهتلان

الوطن ٢٠٠٣/٨/٢٠

* * *

هل نرد أم نصمت كالعادة؟!

لو كان لي من الأمر شيء لقمت بتعليق رحلات الخطوط الجوية البريطانية إلى المملكة إلى أجل غير مسمى. مرة واحدة أيها السادة اتخذوا موقفا.. بالله عليكم أستحلفكم برب السماوات والأرض. من الخطأ الصمت وعدم الرد على مثل هذا القرار، الذي يعني أن حالة الأمن في بلادنا سيئة إلى درجة لا تثق فيها هذه الخطوط على أمنها، إعلان مثل هذا القرار له تبعات وتكاليف أقلها ارتفاع التأمين وشرخ جهود جذب الاستثمار وإحداث ارتباك بين المواطنين والمقيمين يساهم في إبراز صورة غير حقيقية. يرى بعض المواطنين أن ردود الفعل الرسمية أحيانا على مثل هذه القرارات تأتي بطيئة أو لا تأتي، وأنا معهم في هذا الرأي.

عبد العزيز السويد

الرياض، ٢٠٠٣/٨/١٦

* * *

تجفيف منابع الإرهاب: مقت التعصب المذهبي

الذي لا يمكن الاقتناع به هو حمل المسلمين كلهم أو فئة كبيرة منهم على مذهب واحد من المذاهب الإسلامية الأربعة (الحنفية، والمالكية، والحنبلية والشافعية) فالأئمة الأربعة اجتهدوا واختلفوا في الفروع أما الأصول فهم متفقون عليها. التعصب لمذهب واحد والإصرار على إلزام الناس به، يعني ضرورة استخدام العنف في ذلك، والعنف كما يعلم الكل يفضي دائما إلى نتائج وخيمة. من المقبول ومن المعقول أن تقوم دولة ما بتنظيم قضائها ومؤسساتها الحقوقية وفق أحد المذاهب الأربعة، أما اعتبار أن هذا المذهب وحده هو الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومحاربة من لا يقتنع به أو يقبله فهذا هو غير المعقول وغير المقبول. إن التعصب لمذهب أو فئة يفضي في النهاية إلى الإرهاب الذي نمقته ونحاربه وما دمنا نحارب الإرهاب ونمقته فلا بد أن نجفف منابعه.

قينان الغامدي

الوطن ٢٠٠٣/٨/٢

* * *

تغييب الآخر والمنقذ الأميركي

نشرت الزميلة وجيهة الحويدر مقالاً في تحت عنوان (فئات مغيبة) أشارت فيه إلى وجود فئات تعاني بعض أنواع الظلم ولأن المجتمع لم يستطع تقديم حلول جذرية لهذه الفئات فقد رأت في أمريكا المنقذ والمخلص لها من واقعها. هذا ملخص مقال الزميلة وجيهة الحويدر وهو مقال يدفع إلى الكثير من الوقفات وأعتقد أن مصلحة المجتمع أن نتحدث عن عيوبنا وأن نجعل هذه العيوب مدار حوار بيننا. ما تحدثت عنه الزميلة حق لا يمكن إنكاره وهو وإن كان سيئاً فإن تجاهل المجتمع له بكل دوائره أكثر سوءاً. ولكن هل هذا الأمر يجعلنا نصوب شطر البيت الأبيض أنظارنا باحثين عن حلول لمشاكلنا؟ هنا أختلف تماماً مع أصحاب هذا التوجه، وسأتحدث هنا عن فئة أخرى أحسبها أكثر عدداً وكنت أحسبها أكثر فهما.. هذه الفئة تنادي بالإصلاح بكل أشكاله وأنواعه ولكنها لا تريد أن تقدم شيئاً في سبيل تحقيق مثل تلك الإصلاحات وتتطلع في الوقت نفسه إلى أمريكا وقيادتها لتحقيق الإصلاحات التي يتحدثون عنها وكأن أمريكا لا هم لها إلا خدمة الآخرين لوجه الله تعالى. هذه الفئة أحسبها تجهل أمريكا كثيراً وأحسبها كذلك لا تحسن قراءة الواقع بصورة جيدة.

محمد علي الهرفي

الوطن ٢٠٠٣/٨/١٢

* * *

تعويض الغربي المدلل!

قامت بعض الشركات المختلطة، بتعويض موظفيها الغربيين عن الظروف أو الضغوط النفسية التي تعرضوا لها بعد تفجيرات الرياض واستهداف الأجانب، والمقصود بالأجانب الغربيين تحديداً، وللعلم فإن عقود هؤلاء أصلاً هي عقود مختلفة تحتوى على عدد من المميزات التي لا تتوفر في عقود المواطنين أو الأجانب من جنسيات أخرى، وتأتي هذه التعويضات ميزة إضافية، وليس سراً أنه أثناء فترة التفجيرات وحتى قبلها عند العدوان الأمريكي على العراق قدمت العديد من الشركات والبنوك تسهيلات لهؤلاء العاملين الحد الأدنى منها إجازات مفتوحة مع تذاكر وحفظ للوظيفة. ماذا قدمت هذه الشركات الأجنبية الشريكة والمستفيدة لنا في بلدانها؟ هل تطوعوا بالدفاع عن حقوق مواطنينا في مطارات الدول الغربية وغرف الاحتجاز والتحقيق والحجز على الأموال، لا وألف لا، أبدا هم من الشطارة بحيث يأخذون دائما، ونحن الذين نقدم دائما. الغربي لدينا مدلل حتى ولو كان متقاعداً في بلاده لا يجد وظيفة.

عبد العزيز السويد

الرياض، ٢٠٠٣/٨/١٣

* * *

كيف نواجه الإرهاب؟

أحداث الحادي عشر من سبتمبر أسقطت كثيراً من الأقنعة، ولم تعد تجدي تلك التبريرات، العالم من حولك يسألك عن حقيقة اعتقادك ورأيك فيما فعلت أو صنع بالنيابة عنك ووفق ثقافتك، وأنت لن تملك الإجابة، هل نقول لهم بأننا لم نجرب اختبار قيمنا الداخلية، أو أننا لم نتصور أننا بحاجة إلى تطبيقها. الذين قتلوا أنفسهم بهذه الطريقة يحسبونه جهاداً، والذين لا يتفقون معهم في الطريقة ممن يحملون أفكاراً أصولية مشابهة، سيعتبرونه اجتهاداً وفتنة على أكثر تقدير، هل من الممكن أن يكون ذلك من الاجتهاد؟ معنى الاجتهاد في ثقافتنا الدينية واسع جداً، فأن تعملَ على أمرٍ ينفعُ الناسَ اجتهاد تؤجر عليه، وأن تقتل الآمنين في بلدان أخرى تحت أي حجة، أو تقتل أبناء وطنك هو اجتهاد كذلك، وللمجتهد المخطئ أجر، وللمصيب أجران. كيف نواجه الإرهاب حين لا نعترف بجذوره الكامنة؟ أو حين نرفض مناقشة الأفكار التي يتم رفع شعار الجهاد عبر إعادة تفسيرها؟ إن البعض يرفض مناقشة موضوعات مثل الجهاد أو السلفية أو الولاء والبراء. إن الذين يرغبون في الدفاع عن المذهب السائد عليهم التوضيح عبر المناقشة الثقافية المفتوحة براءة تلك الأفكار. إن الجهود الأمنية التي تقام اليوم ضد هذا الخطر الداهم هي هامة بالفعل، ولكن من دون إصلاح ديني وثقافي يواكبها فإنها لن تحقق أهدافها المرجوة.

عادل بن زيد الطريفي

الوطن ٢٠٠٣/٨/٢٠

* * *

دور السعودية والتبريرات النشاز

يبدو أن تلهف معدي تقرير (الكونغرس حول ١١ سبتمبر) إلى ذريعة لإلقاء اللوم على المملكة يخدم عدة أغراض منها تخفيف

الضغط على الأجهزة المخابراتية وتقصيرها في تحليل المعلومات التي لديها، وأيضاً موافقة هوى في نفوس حاقدة على المملكة. وهناك أمر آخر وهو الطموح الشخصي والبحث عن مجد ذاتي ومصالح خاصة، فالانتخابات على الأبواب. إن محاولة الاساءة إلى علاقة المملكة بالولايات المتحدة الأمريكية من قبل أفراد أو جماعات أمريكية ذات نوايا وأهداف مشبوهة هو عمل لا أخلاقي، وهو كذب واضح وأهم من ذلك يعرض مصالح البلدين لحالة من عدم الاستقرار، والضرر في النهاية مشترك.

عبد المحسن الضويان

الجزيرة ٢٠٠٣/٧/٣١

* * *

تضخم الفقر حتى!

يكفي اللجنة المكلفة بدراسة أحوال الفقر في بلادنا أن تطالع يومياً ما ينشر من حالات فقر مدقع في الصحف ليكون لديها مؤشرات مادية عن حجم الفقر المستشري بين الآلاف من العائلات السعودية في مختلف أنحاء البلاد لا سيما إذا ما علمنا أن ما يصل إلى الصحف لا يمثل إلا نسبة واحد إلى الألف أو أقل أما الباقون فإن منهم من لا يعرف كيف يصل إلى الطريق السريع ناهيك عن الوصول إلى الصحف وكشف المعاناة, ومن قدر له أن يتجول في القرى القريبة من مكة المكرمة فسيجد أمامه فقراً لا يطاق.. رمضاء ولا زرع ولا ضرع ولا ماء وبيوتا من الصفيح الصدئ وأجسادا ناحلة سوداء. أما فقراء المدن والمحافظات فإن معظمهم عوائل فقدت عائلها موتاً أو عجزاً وأرامل في حلقهن سبعة أو ثمانية أيتام صغار يعيشون في أكنان بائسة أو في شقق مظلمة تطاردهم مطالبات المُلاك حيث لا يجدون ما يسد رمقهم. ومن هذه البيئات المحرومة يتخرج المحرومون الذين يكونون قابلين للانحراف مثلهم مثل من يعيش ترفاً غير رشيد فيفسد أبناؤه بالميوعة والانفلات!

محمد احمد الحساني

عكاظ ٢٠٠٣/٨/٢٧

* * *

كثرة الشكاوى الفردية: إدهن السير!

لدينا أنظمة لكنها لا تطبق بدقة، بل إن اختراقات هذه الأنظمة أصبحت أنظمة جديدة، يتحدث عنها الناس ويسيرون وفقها، فالواسطة أصبحت نظاماً، والاستثناء أصبح نظاماً فكل من لا ينطبق عليه النظام تجده يبحث هنا وهناك عمن يحقق له هذا الاستثناء. والرشوة - آه من الرشوة - لا أستطيع أن أقول إنها أصبحت نظاماً كذلك، لكنها في الحقيقة حديث كثير من الناس، إنهم يقولون مثلاً "ادهن السير بسير" ويقولون "بُلّ ريقه" ويقولون "غمزة تكفي". وهم بكل هذه الأمثال وغيرها يشيرون إلى استفحال هذا الداء بين عينات من الموظفين لا أحد يدقق في الإجراءات التي يتخذونها، ولا أحد يستطيع مراقبة كيف يقبضون المقسوم ومتى يقبضون، والذين يدفعون لهم ملومون، لكن الناس يتحدثون عن عشرات المبررات التي يقدمونها لهذا الدفع. والمشكلة إن كثيراً من هذا الدفع ليس لتمرير مخالفة، وإنما لنيل حق يكفله النظام ولكن من يكفل النظام.

قينان الغامدي

الوطن ٢٠٠٣/٨/٢١

* * *

التطرف أكثر إغراء للشعوب التي تفتقد الأمل!

التصريحات الأمريكية ترى أن الأنظمة المستبدة في المنطقة، هي التي تهدد مصالح الولايات المتحدة الأمريكية.. لا تلك التي تعيش أجواء ديمقراطية ولو نسبية حتى. أين يمكن لنا أن نقف من المشروع الأمريكي المعلن، الذي يشدد على أن المنطقة من حقها أن تحظى بالمزيد من الفرص لتطوير شكل أو آخر من الديمقراطية، وتأسيس مختلف لمفاهيم الحرية. تقول اليزابيث ديك تشيني المسؤولة في الخارجية الأمريكية عن برنامج تنمية الديمقراطية في العالم العربي.. (إننا نحاول دعم شعوب المنطقة التي تعمل من أجل التغييرات الديمقراطية، ونتطلع إلى سبل تقديم المساعدة وتشجيع إحداث التغيير لأن ذلك بالغ الخطورة بالنسبة للمنطقة لكي تعزز إمكاناتها.. وكلما عاش الناس بحرية يتعزز أمننا جميعاً).. وتقول أيضاً (انه سواء تعلق الأمر بالشرق الأوسط أو منطقة أخرى من العالم، فإن التطرف يجتذب المجموعات التي تقدم مقاربة متطرفة لحلول المشكلات.. والتطرف يكون أكثر إغراء بالنسبة إلى الشعوب التي تفتقد إلى الأمل. لذلك إذا نظرنا إلى ديموغرافية الشرق الأوسط حالياً فإن ٥٠ بالمئة من السكان دون العشرين وهناك الملايين من الشباب الذين يبلغون سن العمل دون أن تتوفر لهم فرص العمل لأن الاقتصاد لا يوفرها.. في وضع كهذا حيث لا يتمتع الأفراد بالأمل بالمستقبل، فإن التطرف سيكون أكثر اغراءً). ستظل كل الطروحات الأمريكية لإحلال الديمقراطية ودعم التنمية والحريات لشعوب المنطقة حبراً على ورق ما لم تكذب الإدارة الأمريكية كل هذا من خلال تجربة حية في عراق حر هو في قبضتها اليوم.. وتستطيع بالتعاون مع قواه الحية على ابتداع صيغة جديدة، لدولة حرة جديدة.. تقوم على أنقاض الاستبداد والوجه الكريه لحكم الديكتاتور. لا يمكن لمثقف حر أن يرفض شعارات رائعة ظل يناضل من أجلها ويدعو لها.. فقط لأنها جاءت على دبابة أمريكية.. يمكن له أن يرفضها حقاً، عندما تصبح تلك الدبابة وسيلة لتكريس وجه الاستبداد أو الضحك على الذقون باسم ديمقراطية زائفة تخفي وجهاً طائفياً أو عرقياً كريهاً.. أو أن تكون عامل تهديد وضغط لاستغلال ثروات الشعوب.. أو تمرير مشروعات تصب في مصلحة قوى وأطراف دولية وإقليمية ليس لهذه الشعوب مصلحة في دعمها أو تمريرها.

عبد الله القفاري

الرياض، ٢٠٠٣/٨/٢٥

* * *

الحاجة إلى عفو عام

أجزم أن هناك متورطين دخلوا إلى دائرة الفكر التكفيري وهم غير مقتنعين تماما، و آخرين يريدون الخروج منها فلا يستطيعون، دفعت الحماسة والإحباط بعضهم دفعاً وتمت السيطرة الفكرية على بعض آخر. للمصلحة العامة مصلحتنا جميعاً وحتى لا نزرع ندوباً تتحول في المستقبل إلى أورام مستعصية على العلاج ، أنادي وأطالب بإصدار عفو عام عن كل من يسلم نفسه للسلطات الأمنية ولا يثبت عليه جرم بحق أحد، بصدور مثل هذا العفو العام نفتح باباً واسعاً لهؤلاء للعودة ، ومثل هذا العفو العام لا يكفي وحده إنه يتطلب أموراً عملية أخرى تكمله وتزيد من أثره وينقص ويضعف إذا ما تم إهمالها، فلابد من التسامح والرأفة بهؤلاء عند التحقيق معهم ، هذا أمر ضروري ولابد من عدم الانتقاص أو المس بكرامتهم، إنني أشعر أن هناك من يود الخروج من دائرة التكفير ولا يستطيع خوفاً على نفسه أو كرامته، من جهة وخوفاً من منظري هذه الدائرة انتقاماً أو تكفيراً، فهل نقدم على حل ناجع مثل هذا، بعد العفو و التسامح يجب أن يكون هناك حوار حقيقي مع هؤلاء.

عبد العزيز السويد

الرياض، ٢٠٠٣/٨/٢٤

* * *

المثقفون في السعودية علمانيون أم مساكين؟

كيف استسهل المجتمع إطلاق العلمانية والضلالة وربما الفسق امتدادا إلى الكفر على كتّابه وأدبائه ومثقفيه؟ ماهي العلاقة

المستترة بين العامة من الناس وبين بعض مطلقي التهم دون بينة؟ ولماذا أصبحنا مجتمعاً منشغلا بالتصنيفات فهذا علماني والآخر ليبرالي وصار من السهل توزيع التصنيفات فضلا عن التهم ونشرها؟ كم من كاتب وكاتبة أطلق عليهما لقب العلمانية والتصق بهما حتى وكأنه اصبح قالبا لا يستطيع الكاتب أو الكاتبة منه فكاكا وكم من كاتبات أو كتاب اختاروا الانعزال وهجر الكتابة لما واجهوا من الإساءة إلى سمعتهم. ما الذي فعله المثقفون لمواجهة زحف النسق الواحد لقد صرنا مادة دسمة للمؤسسات الاعلامية خارج بلادنا في تندرها على مجتمع يقسو على مثقفيه ويحاربهم مع ان في مجتمعنا خير كثير. لقد وصلنا إلى مرحلة اننا ككتاب صرنا لا نأمن صدور احكام بالعلمانية والفسق بعد نشر مقالاتنا في صحف محلية تنشر وفق خطوط واضحة من الالتزام الديني والاخلاقي والمجتمعي؟

ناهد باشطح

الرياض، ٢٠٠٣/٨/٢٤

* * *

حجب المواقع الاليكترونية أم حجب العقول؟!

القضية ليست في حجب موقع أمان ولا في استمرار حجب منتدى طوى الشهير مثلاً. القضية في أن نعرف آلية هذا الحجب.. في أن نفهم لماذا وكيف حتى نقتنع فنسكت، والمسألة تكون ابعد من مجرد عشوائية تمارس في حجب المواقع الى ترسيخ مفهوم ليس دقيقا عن تحسس السلطات لدينا من نشر المعلومات حول بعض القضايا.

عندما حجب موقع منتدى طوى منذ اشهر وما زال محجوبا كنت افهم أن الحجب لجرأة ما يطرح من انتقاد يوجه الى المجتمع أو المسؤولين أحيانا، لكني بالمقابل لا افهم عدم حجب منتدى الساحات مثلاً وهو يكيل بمكيالين من النقد والتجريح لكل ما هو جميل في مجتمعنا. اذا كنا ككتاب ننادي بالحوار إذن علينا أن نقبل سماع وجهة النظر الأخرى مهما اختلفت او تطرفت لانه من المهم ان تعرف كيف يفكر الآخر وليس مهما ان تتفق معه او تختلف.

كان علينا أن نفهم أننا نمر بمرحلة لا متوازنة من محاولة فهم كيف نتعامل في عصر المعلومات مع الحرية وكان على المسئولين أن يدركوا أن السياسات القديمة لم تعد مجدية في تقنين الوصول الى المعلومة أو منع المواطن أن يعبر عن رأيه. قالت صحيفة "عكاظ" إن عدد المواقع المحظورة على الإنترنت في المملكة وصل إلى ٢٢٠ ألف موقع، وهو عدد كبير للغاية ومدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية تتنصل من تهمة العشوائية في موضوع الحجب. أرجو أن نعي ان سياسة حجب المواقع ستضعنا امام العالم في تناقض حول مناداتنا بالحوار وحرية التعبير وبين آليات القمع التقليدية ومصادرة رأي الآخر.

ناهد باشطح

الرياض ٢٠٠٣/٨/١٧

* * *

منع الرواية السعودية!!

عدد من الروايات السعودية التي تتعرف عليها عبر الصحف المحلية ممنوعة في السوق الثقافي السعودي وكي تحصل عليها لابد ان تلجأ للمكتبات العربية حتى أن بعض المكتبات المحلية تخبرك ان هذا العمل السعودي أو ذاك متوفر في فروعها الموجودة خارج المملكة ولم تجز لتدخل بلد مؤلفها! عمل يناقش على مستوى نوادٍ ادبية محلية وأمام الملأ وتنقلها الصحف لا تجيزها وزارة الثقافة والإعلام؟! يفسح للنقد الذي يأتي على تفاصيل العمل الدقيقة ويؤولها ويفسرها كل حسب رؤيته ويمنع العمل الأصلي! الى متى سيظل هذا؟!

أمل الحسين

الرياض ٢٠٠٣/٨/٢٣

* * *

عندما يتحول التعصب إلى عقيدة موروثة!

كيف تنظر الشعوب بعضها لبعض؟ بمعنى آخر ما موقف الشعب السعودي مثلا من الشعب الأمريكي؟ كيف ننظر إلى الشعب الياباني أيضاً؟ هل نقبل على سبيل الافتراض أن نصادق أي يهودي في الأرض أو نتعامل معه في تجارة أو أن نقبله كعضو في جماعة؟ هل نساكن أو نتعايش مثلاً مع رجل ألماني في غرفة واحدة لفترة من الزمن؟ كيف ننظر للشعوب الأخرى بغض النظر عن ثقافتها أو جنسها أو لغتها؟ ما طبيعة الصورة النمطية التي نرسمها نحن تجاه الشعوب الأخرى؟ وكيف نقيم علاقتنا معهم؟ ومن يصنع هذه الصورة؟ هل السياسة/ الثقافة/ الدين تساهم من قريب أو من بعيد في رسم ملامح هذه الصورة؟

التعصب، ومدى تأثر المجتمع أو ثقافة المجتمع به، محور مهم يحدد هذه النظرة سلباً أو إيجاباً، وإشكاليته داخل المجتمعات قديمة وتتجدد مع الأحداث، ونظن لفترة من الزمن أنه اختفى لكن ما يلبث أن يظهر مرة أخرى دون مقدمات وبأشكال متعددة، منها التعصب الديني، والتعصب المذهبي أو التعصب الطائفي، والتعصب القبلي، والتعصب العائلي، وهناك أيضاً تعصب ضد الوافدين بشكل عام أو ضد القادمين من بلاد أو جنسيات معينة، وهذه الأشكال من التعصب قد تجد ما يدعمها ويغذيها في فكر وثقافة هذا المجتمع أو ذاك، كما تعتبر مناخات الاستبداد الفكري والثقافي منابع ومنابت للتعصب ، لأن الاستبداد نتيجة طبيعية ومحصلة نهائية للتعصب، أو لنقل إن التعصب إحدى المقدمات الفكرية للاستبداد، أو نوع من التهيئة النفسية له، فالمتعصب شخصية استبدادية ينتقل من فضاء الفكر ورحابته إلى فرض فكرته أو رأيه أو منهجه من خلال رؤية أحادية بل يستميت في نشرها،وبذلك تنتفي عنده أي آلية للحوار أو الجدل أو الاختلاف أو مجرد المعارضة، وقد يتحول التعصب مع الزمن لعقيدة موروثة تتوارثها الأجيال جيلا بعد جيل من غير رؤية علمية أو تبرير عقلي مقبول، وتصبح هذه العقيدة الدخيلة ضمن التركيب العضوي لتلك الثقافة.

محسن عبد الرحمن المحسن

الجزيرة ٢٠٠٣/٨/٢٠

* * *

يندِّدون بالإرهاب ويبرؤون الأصل!

الادعاء بان تلك الحركة الاصلاحية (الوهابية) كانت السبب الرئيسي وراء بزوغ او ظهور تنظيم القاعدة والمجموعات الارهابية المنتشرة في كل مكان من هذه المعمورة.. ادعاء موغل في الاخطاء, ذلك ان تلك الحركة لم تقم في جوهرها على مسالك التطرف والغلو والتشدد المفضية كلها الى ركوب موجة الارهاب, وانما قامت على مبدأ التسامح وهو مبدأ غير متوافق بطبيعة الحال مع تصرفات رموز القاعدة الموغلين في التطرف الى ذقونهم. لقد ادعت بعض الاوساط السياسية والاعلامية والثقافية استنادا الى ادعائها الاول ومعطياته الخاطئة بان النظام السعودي بني منذ انشائه على التطرف الذي نشأ في الاصل من تاييده لتلك الحركة الاصلاحية, وبالتالي فانه نظام يقوم على تأييد الارهاب ودعمه, وتلك مقولة لا اساس لها من الصحة. عود على بدء فان القول بان الحركة الاصلاحية في نجد هي حركة متطرفة هو قول يجانبه الصواب, ولايستند الى ادلة ملموسة تؤكد ارتباط الحركة باي نوع من انواع التطرف والغلو, وما تأييد النظام السعودي لها الا دليل على صحة توجهاتها, ودليل على ارادته الثابتة السليمة بالتمسك

باهداب عقيدة ربانية خالدة لايأتيها الباطل من كل الجهات. فارتباط الحركتين السياسية والاصلاحية منذ نشأتهما هو ارتباط صحي. ولايمكن التشكيك في اهدافه السامية العليا. وكل من يدعي ان الحركة التصحيحية في نجد هي حركة متطرفة فانه يسيء بشكل مباشر الى النظام السعودي. وعلى كل حال فان الخائضين في بحور ضلالاتهم لايفرقون بين الحركة والنظام. فكلاهما في عرف اولئك القادحين ومن سار في ركبهم يمارسان التطرف ويدعوان الى نشر الارهاب في العالم.

محمد الصويغ

اليوم ٢٠٠٣/٨/٩

* * *

غياب مؤسسات المجتمع المدني

في حين تجد في الدول العربية والخليجية مئات المنظمات والجمعيات التي تقدم كثيرا للمجتمع بدءاً من اهتمامات التربية ومشكلات الأطفال إلى المرض بالقلب والسكري إلى الإرشاد الاجتماعي وغيرها وكذلك التي تجمع المهتمين والمتخصصين، فإن عددها عندنا محدود جداً، وإن كنا نعلم أن إعطاء "تصريح على بياض" لإقامة مثل هذه الجمعيات أمر غير صحيح إلا أن ذلك لايبرر هدر الجهود والطاقات ولابد من وضع الضوابط وفتح المجال لاستثمار العقول والطاقات. ومع أن السعودية هي أكبر بلد (يحلي) المياه في العالم إلا أن مؤتمر المياه يعقد في البحرين تحت رعاية (جمعية المياه) لأنه ليس لدينا جمعية مهنية مماثلة تتبنى مثل هذه الفكرة.

محمد عبد الله المنصور

الوطن ٢٠٠٣/٨/٢٠

* * *

حقيقة الإصلاح الديمقراطي في المملكة

أذاعت هيئة الإذاعة البريطانية، بي بي سي، الأسبوع الماضي، خبراً يفيد أن برلمان أوروبا يطالب بالديمقراطية في السعودية، حيث دعا وفد برلماني أوروبي يزور المملكة العربية السعودية، حكومة الرياض إلى اعتماد الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان، وقال سامي ناير عضو الوفد إن تطور البلاد اجتماعيا أو اقتصاديا رهن بتحقيق هذين الشرطين، وأوضح المصدر ذاته أن الشيخ صالح بن حميد رئيس مجلس الشورى السعودي قدم للوفد الأوروبي تحليلا "متوازنا" حول النظام الحاكم، غير أن ناير أشار في الوقت ذاته إلى أن البرلمانيين الأوروبيين لم يتفقوا مع وجهات نظر المسؤول السعودي، ووعد ناير بمنح مساعدات أوروبية لـ"قوى التطور والانفتاح" في السعودية، انتهى الخبر، لكن يدل على أن هناك جهات خارجية ترصد الساحة السعودية، وتحلل ما يقع فيها، وتريد أن تبحث عن أسباب مقنعة لتوجهات العنف المتصاعد، مما يؤكد أن المملكة، تتعرض لضغوط متزايدة لإدخال إصلاحات ديموقراطية على النظام بعدما تبين أن معظم المشتبه في تنفيذهم هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ مواطنون سعوديون. الإصلاحات الديموقراطية بالمملكة، يجب ألا تأتينا من الخارج، بل يجب أن تأتي بقناعة داخلية، كونها مفيدة ومطلوبة لنا، بل أصبحت مطلباً أساسياً للتنفيس عن موجة العنف التي تجتاح مدن المملكة، والخشية أن تكون هذه الأسلحة والأوكار المضبوطة، مجرد رأس لجبل جليد، مغطى لم يظهر منه سوى النزر اليسير، وما خفي كان أعظم، وأشد، والشواهد معروفة، وجلية، فعندما يتحدث الإعلام، والوسائل العامة المتاحة نسمع ما يطرب المسؤول، ولكن في الجلسات الخاصة، وفي منتديات الحوار الوطني، وفي مذكرات الإصلاح، تجد أن هناك فرقا، وأن نبرة الكلام قد اختلفت، وأن هناك مساحة أكبر لوصف العيوب والمثالب، التي تحتاج إلى إصلاح، وتعديل.

العنف مفتعل وليس أصيلا، وعرض وليس أصلا، لذلك بالمقابل يكون تعريف العنف المحلي: بأنه موجة تعبر عن أمرين لا ثالث لهما، إما الرغبة في الانتقام، أو الرغبة في الاحتجاج، وفي كلتا الحالتين لن يقلل من هذا العنف الصوري سوى الحوار الديمقراطي، لأن المنتقم يشعر، أو يوعز له أن هناك خطأ في حقه، فيزين له الانتقام من المجتمع، وفي حالة الاحتجاج، يرى الخطأ ولا يستطيع أن يغيره بالكلام، ويجد كل الآذان مغلقة، فيبادر للعنف ليقول للمجتمع عندي رأي آخر. الإصلاح الديمقراطي لن تكفيه الحلول الترقيعية، مثل الشجب، والفتوى الحرام، وتأليب الرأي العام ضد هذه الموجة، ووصفهم بالخوارج، لأن الصدود في الحوار المفتوح، وتأخير الإصلاح الديمقراطي، نذير شؤم، وبوابة لمزيد من العنف والصدود والقناعة بأن العنف هو الحل الوحيد للمجتمع السادر في غيه، والرافض لسماع الرأي الآخر، وتصنيف يحصر هذه الفئة في ركن العنف ولا شيء غير العنف.

الإصلاح الديمقراطي ينبغي ألا يخيفنا، ولا يجب أن نرفضه لأنه جاء نصيحة من الغرب، وعلينا ألا نفزع منه، لأنه في نهاية المطاف، حركة إصلاحية لصالحنا، فسماع الرأي الآخر، إما أن يكون بقول خطأ أو صحيح، فلو كان خطأ لاستطعنا أن نسمعه، وبالتالي معالجته واستطعنا أن نوضح الحجج والبراهين ببطلانه، ولو كان صحيحاً فهو حق يجب الانصياع له، ونحن أولى من يستفيد منه، وأولى من يستمع له، ولو ذهبنا معه، لكان هناك حركة إصلاح حقيقية، لم تكلفنا ولم نتعب من أجلها لأنها ستزيد الانتماء، وجاءت من قلب مخلص لوطن يستحق الرعاية، والحب والولاء.

مازن عبد الرزاق بليلة

الوطن ٢٠٠٣/٨/١٦

* * *

الحوار الوطني بين السائل والمجيب

فكرة مركز الحوار وإن كانت قد جاءت متأخرة بعض الوقت إلا أنها طرح يستحق الإشادة فالتقارب الفكري لا يتحقق بالأحادية الفكرية أو الثقافية إنما يخلق تحت مظلة من الحوار التشاركي من أجل قيمة كبرى يتفق عليها. الحوار ليس سلوكا يمكن اكتسابه بسهولة على المستوى الشعبي فقد يكتسبه المثقفون ببساطة ويسهل عليهم تحديد أطره وحدوده ولكن على المستوى الشعبي سوف يكون الحوار في البداية مجرد طلاسم ورموزاً يصعب فهمها وسوف يظهر محاربو الحوار ليفسروا للعامة الحوار بشكل يزرع عدم الثقة في الحوار وفكره والمتحاورين. سنعاني كثيرا من تحويل هذا المصطلح إلى فكرة أساسية في ثقافة المجتمع إذا لم نسلك المسار الأمثل، فالبعد عن الواقع الشعبي يشكل إذابة حقيقية لفكرة الحوار فما يحققه المتحاورون في قاعة اجتماعات مغلقة يتنازل فيها كل منهم عن أطروحة في فكره لن يحقق شيئا على المستوى الاجتماعي ما لم تمتد يد الإعلام بكل أشكاله إلى نقل الحوار علنا ليتم قطع الطريق على أولئك المشككين في الحوار وجدواه الاجتماعية.

الحوار تلبية لحاجات اجتماعية ولضرورة سياسية وفكرية أكيدة تدعو إلى تشكيلة ودمج المجتمع في ثناياه وبما أن الإرادة السياسية قد وفرت الشرط الأول لنجاح الحوار فإن الإرادة الفردية والاجتماعية يجب أن تتحقق من خلال إيمان مطلق بحقيقة أن الوطن والمجتمع يمثلان النقاط الساخنة التي يجب أن يذوب عليها كل اختلاف وأن تتحول ساحة المجتمع إلى مكان قابل لكل الأطياف وألا يقتصر الحوار على الفكر الديني فقط إنما يجب أن يتجاوز ليشمل كل أركان الثقافة واختلافاتها ومشاربها الاجتماعية.

علي الخشيبان

الوطن ٢٠٠٣/٨/١٥

* * *

الحيرة السياسية القاتلة

تمرّ الدول كما الأشخاص بأوضاع تتطلب منها مواقف حاسمة، فيتريّث البعض قليلاً، ويستعجل البعض الآخر قليلاً، ولكن القرار أو الموقف يصدر في نهاية الأمر، مراعياً للظرف، مهما كانت طبيعة ذلك القرار، ومدى استجابتة للمتطلبات سواء للفرد أو الدولة.

الحيرة في المملكة طال وقتها حتى تحولت الى عجز فاضح. فالمسألة تجاوزت مهلة التفكير والتروي في اتخاذ القرار الى وضع صار واضحاً فيه بأن القيادة السياسية باتت عاجزة عن اتخاذ القرار وإلزام نفسها به، وتحمّل تبعاته.

صار في حكم المتيقن، أن العائلة المالكة ليست قادرة ولن تكون قادرة في المدى المنظور (٥ – ١٠ سنوات) على إدارة الوضع الإقتصادي للبلاد، والسيطرة على المشاكل المتفاقمة فيما يتعلق بمخرجات التعليم والبطالة وقصر الخدمات الإجتماعية والإستثمار. لقد جرّب ولي العهد حظّه فأسس مجلساً أعلى للتخطيط الإقتصادي بان هزاله بعد أشهر قلائل، ولم يعد قادراً على تقديم شيء مفيد.

وصار في حكم المتيقّن أن النظام عاجز عن التقدم نحو الإصلاحات السياسية. وأن الحيرة تحولت بالفعل الى عجز وشلل يهدد البلاد من جذورها. كبار الأمراء ورجال الدولة يدركون أنه لا بدّ من إصلاحات! وكلهم يدركون بخطورة الفشل الذي سيؤدي الى تقسيم المملكة. وكلهم يعلمون ما هي الخطوات السياسية المطلوبة، ولكن أياً منهم لا يجرؤ على التقدم (ليعلق الجرس)، أو يقود مركب السفينة حتى وإن رفض الرافضون.

ليست المسألة غياباً للإرادة السياسية للإصلاح فحسب، وإنما هناك غموض حول مؤدياته، وكذلك حول الآليات والأشخاص الذين يقودونه!

لقد أوصلت العائلة المالكة البلاد الى طريق مسدود سياسياً واقتصادياً. ورغم الوفرة المالية خلال الأعوام الثلاثة الماضية، التي أحدثتها أسعار النفط، إلا ان الوضع الإقتصادي يسير من سيء الى أسوأ، ورغم الزعم بالحاجة للإصلاحات، فإننا نسمع جعجعة ولا نرى طحناً، فالحديث يكثر، ولكن بلا فعل أو إرادة. حين تصل الأمور الى طريق مسدود، ويستسلم القادة الى مصيرهم عجزاً أو رهبة من العلاج، فإن الحيرة تتحول الى عجز قاتل.

* * *

مجلس الشورى والتقسيم

ليس الحديث عن تقسيم المملكة وهماً لا يمكن حدوثه. هذا ليس قولنا، بل هو قول أعضاء اللجنة الأمنية في مجلس الشورى الذين بحثوا الموضوع بناءً على أوامر وزارة الداخلية. فقد سُلم له ملف ضخم يحوي كل ما كتب بالعربية وغير العربية، وما كتبه سعوديون في الداخل والخارج من أبحاث ومقالات في هذا الشأن، وما اقترحوه من حلول. وكان من بين الملف ثلاثة تقارير تقدمت بها جهات رسمية ثلاث: وزارة الخارجية، والإستخبارات العامة، والمباحث العامة. وقد أجمعت هذه الجهات الثلاث في تقاريرها التي رفعت الى ولي العهد السعودي بأن ما يقال عن التقسيم وإمكانيته أمرٌ صحيح وممكن، وأن ما اقترح من حلول سياسية واقتصادية صحيح أيضاً!

أعضاء مجلس الشورى، رفعوا تقريراً بهذا الشأن ينسج على نفس المنوال، فأقرّ بإمكانية تقسيم المملكة بسبب عوامل داخلية وخارجية، وكرر اقتراحات من سبقه. قال الأعضاء ضمن الحلول السياسية أن الزمن تجاوز مسألة تعيين الأعضاء للمجلس، فإما أن يؤخذ بالتجربة العمانية أو بالتجربة الكويتية ـ البحرينية. وكرر الأعضاء مطالب قديمة بالمساواة في الخدمات الإجتماعية والإهتمام بالمناطق المحرومة، فالحلول السياسية والإقتصادية يجب ان تتساير معاً.

هناك على الأقل الآن شعور واضح بأن البلاد يمكن أن تعود الى تقسيماتها التاريخية القديمة، وهذا الشعور متداول بين الأمراء والنخب العليا في المملكة. لكن الإعتراف بوجود الخطر، لم يقابله حتى الآن إقدام في طريق العلاج كما هو واضح. ومن يعيش رعب التقسيم يفترض أن يسعى للقضاء أو التخفيف من مبرراته. ولكن في الحالة السعودية كل شيء متوقف بسبب الحيرة والعجز الى أن يقضي الله أمراً كان مفعولا.



الحجاز - Microsoft Internet Explorer

File Edit View Favorites Tools Help

Address http://www.alhijazi.org/

الحجاز

هذا الحجاز تأمّلوا صفحاته سِفرُ الوجودِ ومعهدُ الآثار

- الحجاز السياسي
- الصحافة السعودية
- قضايا الحجاز
- الرأي العام
- إستراحة
- أخبار

- تراث الحجاز
- أدب و شعر
- تاريخ الحجاز
- جغرافيا الحجاز
- أعلام الحجاز
- الحرمان الشريفان
- مساجد الحجاز
- آثار الحجاز
- صور الحجاز
- كتب و مخطوطات

كيف يحقق إنقسام السكان وحدة السلطة السعودية

في تقريرها الصادر هذا العام (2002) كتبت شركة بي إف سي (Petroleum Financing Company) بأن ليس هناك ما يمكن وصفه بـ (مجتمع سعودي) وانما الصحيح قوله هو مجتمعات متعددة. ويرى التقرير بأن الانقسامات الداخلية على قاعدة مذهبية (سنة وشيعة) او مناطقية (نجد وحجاز وربما بدو وحضر) أو قبلية تحقق ضمانات أكيدة حيال أي ثورة وطنية، وأن أسوأ التحديات التي تواجه السلطة حسب التقرير ستكون في الغالب ذات طابع محلي أي مناطقي.

ينبّه التقرير الى قضية على درجة كبيرة من التعقيد وهي ان انتظام المناطق والجماعات في وحدة سياسية موحدة هي المملكة العربية السعودية لم ينتج عن انصهار جماعي اختياري بل نشأ على أساس استتباع قهري والحاق قسري لهذه المناطق والجماعات.

وحتى قيام الدولة على أساس غلبوي في بدايات تكوينها لا يدحض الحاجة لاحقاً الى اعادة صهر ودمج في بنية الدولة الجديدة، تطوي مرحلة القهر والاستتباع وتوفر قناعات جديدة للملحقين الجدد بجدوى الانتماء لهذه الدولة.

تركي الحمد:

السعودية معتقلة وتواجه أزمة وجود

مقالة الكاتب والمفكر السعودي الدكتور تركي الحمد في الشرق الاوسط في الثالث من ديسمبر الجاري تضمنت جزئياً على الأقل لغة تبريرية لما اعتبر خروجاً غير مألوف عن النسق المعتاد لأحاديث الامير نايف ضد الأخوان بما يعزز ما ذهب اليه الكاتب حين أراد تحميل الاخوان الازمة التي تعيشها المملكة هذه الايام و(أنها مسؤولة عن عنق الزجاجة الذي تجد السعودية نفسها فيه الآن) وهي أزمة (تفوق في شدتها أكثر الأزمات السابقة التي مرت بها البلاد) حسب الدكتور الحمد. فعبارات كهذه تميل الى تعضيد موقف الامير نايف من جماعة الاخوان.

ولكن ما يقف خلف هذا الموقف هو الأهم. فالدكتور الحمد يستعرض صورة الاوضاع الاقتصادية والسياسية للدولة السعودية، فالوضع الاقتصادي يبدو ضعيفاً والاداء السياسي والاداري يعاني من بطء في الحركة والمرونة (ومن بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، أصبحت السعودية محط أنظار العالم في كل تفصيل من تفاصيل حياتها).

معوقات الديمقراطية في المملكة العربية السعودية

الحجاز في أول الكلام

قد يؤكد عنوان المجلة انطباعات متضاربة تبعاً للانشدادات الفكرية والسياسية والانتماءات الايديولوجية المتباينة للقراء الكرام. ولعل من ابرز الانطباعات المتوقعة هو ما يستند فيها على النظر الى المجلة من زاوية التمثيل المناطقي بايحاءاته الانقسامية. وهذه النظرة غالباً ما تتعزز في ظل دول تحتضن جماعات متعددة من حيث انتماءاتها الجغرافية واصولها الاجتماعية وموروثها التاريخي والثقافي، وقد تتسع النظرة الى حد اعتبار المجلة كصوت ناشز في الدائرة الوطنية. هذه الهواجس مهما بلغ حجمها لا يمكن تبديدها غالباً بادعاءات سبقية أو مزاعم نظرية قبل خوض امتحان التجربة.

متشددون يهدمون قبر ومدرسة السيد علي العريضي العلوي

جرافات ومعدات هدم عديدة قامت صباح يوم الأثنين الموافق 2002/8/12م بالتجهيز لهدم مسجد السيد علي العريضي (766-825م). وكانت اتصالات قد جرت بكبار المسئولين في الحكومة السعودية والمؤسسة الدينية لمحاولة إيقاف هدم هذا المعلم الأثري والديني الهام، ولكن بعض المتشددين من رجال الدين قاموا في مساء ذات اليوم بهدم المسجد وتسويته بالأرض. وكان هذا المسجد وملحقاته إلى ما قبل حوالي خمسين سنة مركزا إسلاميا مهما لتدريس الدروس الدينية وكان يحتوي على مكتبة عامة كبيرة تحوي عشرات الآلاف من الكتب والمصادر الرئيسية للدارسين والباحثين في الدراسات الإسلامية.

حلم لازال يراود البعض:

Done Internet

الحجاز على الانترنت http://www.alhijazi.org

للمراسلة: editor@alhijazi.org



علم مملكة الحجاز بين عامي ١٩١٥-١٩٢٦ تمّ إعداده من قبل مارك سايكس تحت إشراف الشريف (الملك) حسين، ملك الحجاز، ثم جرى عليه تغييرات جدّ طفيفة